بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لمن مصّر الامصار ـ ونصر المهاجرين والانصار ـ وافتتح ديار مصر على ايادي الصحابة البررة الاخيار ـ وصدق قول نبيه المختار ـ عليه صلوة الله الملك الغفار ـ وعلى اله واصحابه من المهاجرين والانصار ـ مادام توالي الليل والنهار ـ حيث قال صلى الله عليه وسلم تسليما ـ انكم ستفتحون ارضا يذكر فيها القيراط فاستوصوا باهلها خيرا فان لهم ذمة ورحما * اخرجه مسلم في صحيحه المكرم وابن عبد الحكيم في الفتوح ومحمد بن الربيع الجيزي في كتاب من دخل مصر من صحابة خير البشر ـ والبيهقي في دلايل النبوة ـ واخرج مسلم في صحيحه ايضا عن ابي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ ستفتحون مصر وهي ارض يسمى فيها القيراط فاستوصوا باهلها خيرا فان لهم ذمة ورحما *

امابعد فاعلم ان ابا عبد الله محمد بن عمر الواقدي رحمه الله المنان ـ كان امام العهد وعالم الزمان ـ له تصانيف عديدة في علوم الدين ـ [illegible] اب في السير حادي لمغازي رسول رب العالمين ـ ومنها فتوح الشام واليمامة ـ ومصر والقادسية ـ لكن اكثر تصانيفه ما يوجد ـ مجتمعة عند احد ـ سوى الذكر في كتاب علماء سابق العهد ـ

وقد كانت جماعة من اهل العلوم والعقول - مشتاقة الى وجد ان ذلك الكتاب المقبول - فما وصل ايادي سعيهم الى شماريخ المراد - وما كان محصول امرهم الا خرط القتاد - الا ان في السنة ١٢٦٣ من الهجرة وجد جزء منها في ذكر فتوح مصر والاسكندرية - في بلاد الافرنجة فطبع هنا لغرض الاشاعة في البرية - ثم في هذه الايام وجد عدة نسخ منها في ذكر فتوح الشام فاعتنى بتصحيحه وطبعه صاحب السيوف والاقلام - ذو الدرس والتدريس - كبتان وليم ناسوليس - وفي اثناء طبع فتوح الشام وجد جزء منه في مغازي الرسول عليه الصلوة والسلام - فطبعه المولوي كريم وفرغ من طبعه في مدينة كلكتة عام ١٢٧١ من الهجرية و عنقريب يحصل الفراغ من طبع فتوح الشام - ان شاء الله العزيز العلام - فالان كلما ذكرنا فتوح مصر عند تجار الحال - وفتشناه للاستحصال - فما ظفرت بنسخة ولو بسعر غال - فاستحسنت طبعها ثانيا بكمال التصحيح والاهتمام - في تقطيع موافق لتقطيع كتاب المغازي و فتوح الشام - حتى يجلد في مجلدة واحدة - او مجلدات مساوية متشاكلة - وليس توفيقي الا بالله الجليل - وهو نعم المولى و نعم الوكيل *

ترجمة الواقدي رح

الواقدي بفتح الواو بعد قاف مكسورة ثم دال مهملة * ابو عبد الله محمد بن عمر بن واقد الواقدي المدني مولى بني هاشم كان جده واقد مولى لعبد الله بن بريدة بن الحصيب و قيل مولى بني سهم كانت ولادته في المدينة المشرفة اول سنة ١٣٠ مائة و ثلثين فتحول

حـه

من المدينة فنزل ببغداد - سمع من ابن ابي ذئب و معمر بن راشد و مالك بن انس و الثوري و موسى بن محمد بن ابراهيم الهذلي و ابن جريج و ابن عجلان و غيرهم و روى عنه كاتبه محمد بن سعد و جماعة من الاعيان قال البخاري سكتوا عنه و ما عندي له حرف و قال ابن راهويه هو عندي ممن يضع الحديث و قال محمد بن سلامة الجمحي هو عالم دهره و قال ابراهيم الحربي الواقدي امين الناس على الاسلام وكان اعلم الناس بامر الاسلام فاما الجاهلية فلم يعلم فيها شيئا وقال المصعب الزبيري و الله ما راينا مثل الواقدي قط و قال يعقوب بن سماعة لما تحول الواقدي من الجانب الغربي يقال انه حمل كتبه على عشرين و مائة وقر وقيل كان له ستمائة قمطر كتب وقال الخطيب في تاريخه هو ممن طبق الارض شرقها و غربها ذكره ولم يخف على احد عرف اخبار الناس امره وسارت الركبان بكتبه في فنون العلم من المغازي و السير والطبقات واخبار النبي صلى الله عليه وسلم والاحداث الكائنة في وقته و بعد وفاته صلى الله عليه وسلم وكان جوادا مشهور بالسخا و تولى القضاء لشرقي بغداد و ولاه المامون القضاء بعسكر المهدي وكان المامون يكرم جانبه و يبالغ في رعايته وتوفي عشية يوم الاثنين في الحادي عشر خلت من ذى الحجة سنة ٢٠٧ و هو يومئذ قاض ببغداد في الجانب الغربي كذا قاله ابن قتيبة وقال السمعاني كان قاضيا بالجانب الشرقي كما تقدم و صلى عليه محمد ابن سماعة التميمي و دفن في مقابر الخيزران وقيل مات سنة ٢٠٩ وقيل سنة ٢٠٦ والاول اصح ٭

بسم الله الرحمن الرحيم

حدثني يونس بن عبد الاعلى قراة عليه باحضاري بمدينة
عسقلان قال حدثنا زياد بن عامر قال حدثنا هشام بن نعيم
اليشكري قال لما فتح عمرو بن العاص قيسارية صلحا على مايتي
الف درهم وما ترك قسطنطين في قصره من امواله و اثاثه و
ذخايره وكان تسليمها له يوم دخلها يوم الاربعا في العشر الاوسط
من رجب الفرد ولامير المومنين عمر بن الخطاب رض في الخلافة
اربعة اعوام و ستة اشهر و بلغ الخبر الى اهل الرملة و عكا و
يافا و عسقلان و غزة و نابلس و طبرية فاقبلوا الى عمرو بن العاص
و صالحوه على ما اتفقوا عليه و كذلك اهل بيروت و جبلة و
اللاذقية و ملك الله تعالى المسلمين الشام كلها ببركة رسول الله صلعم
قال الواقدي اخبرنا الليث بن سعد قال حدثنا نوفل بن عامر

قال اخبرني يحيى بن شاكر المدني قراة عليه بجلول يوم
الجمعة عند منبر يونس بن متا قال لما فتح الله عز وجل ساحل
الشام على يد عمرو بن العاص ويد اصحاب رسول الله صلعم كتب
عمرو بن العاص كتابا الى امين الامة امير جيوش المسلمين بالشام
ابي عبيدة عامر بن الجراح يقول فيه * بسم الله الرحمن الرحيم
من عمرو بن العاص بن وايل السهمي الى امين الامة اما بعد
فاني احمد الله الذي لا اله الا هو واصلي على نبيه والذي اخبر
به الامير ان لله جل وعلا فتح علينا ما كان بقي من الساحل
وفتحنا قيسارية صلحا وهرب منها قسطنطين ابن الملك هرقل
باموله وذخايره وحريمه وركب المراكب وسار في البحر و
نحن بقيسارية ننتظر امرك والسلام عليك وعلى جميع المسلمين
ورحمة الله وبركاته * وبعث بالكتاب قال وكتب يزيد بن ابي
سفيان ايضا كتابا لابي عبيدة بفتح صور على يديه ويد العبد
الصالح يوقنا واخبره في الكتاب بما كان من امره وكيف خلصه
الله تعالى على يد باسيل بن ميخاييل واسلامه وبعث به اليه
قال ووصلت الكتابان الى الامين ابي عبيدة وهو قد رحل من
حلب يريد طبرية فوافته الكتب في الطريق وهو قد نزل بالزراعة
فلما قرا الكتب تهلل وجهه فرحا وضج المسلمون بالتهليل و
التكبير وكتب من ساعته كتابا الى امير المومنين عمر بن الخطاب
رض يبشره بما فتح الله على المسلمين وبما صنع يوقنا ووجه الكتاب
مع عرفجة بن مازن فركب عرفجة مطيته وسار متوجها يريد

مدينة رسول الله صلعم وسار ليلا ونهارا حتى وصل المدينة ٭ قال عرفجة فدخلت المدينة وعلى من ديباج الروم افخره وعلى راسي مطرف حسن مذهب قال فدخلتها عشية الجمعة اول ليلة من شهر رمضان وعمر رض قد خرج من المدينة يريد الخود فلما رايته وحققته بالنظر عرفته فابركت ناقتي وعقلتها واقبلت اليه مسرعا وسلمت عليه فرد على السلام ونظر الىّ فلم يعرفني فقال من الرجل فقلت انا عرفجة بن مازن فقال يا ابن مازن اما كان لك برسول الله صلعم اسوة حسنة وان هذه الديباج حرام على الرجل منا لانه لا يصلح الا للنساء وهذا الذي عليك تصدق به على فقراء المدينة اما والله لقد دخلت يوما على رسول الله وهو نايم على سرير مرمل بشريط وليس بين جلده وبين الشريط شي وقد اثّر ذلك الشريط فى نعومة جلده فلما نظرت اليه فى تلك الحالة بكيت فقال لى يا عمر ما يبكيك فقلت والله يارسول الله اني اعلم انك عند الله اكرم من كسرى وقيصر وهما يعيشان فى ملك الدنيا وانت رسول الله بهذه المثابة فقال يا عمر اما ترضى ان تكون لهم الدنيا ولنا الاخرة قال عرفجة فسلمت الكتاب له ففضه وقراه فلما قراه تهللت اسارير وجهه وفرح فرحا عظيما وحمد الله تعالى وشكره ثم سرت الى منزل خالتي وهى عفرا بنت ابى ايوب الانصاري فبت عندها ليلتي فلما كان من الغد كرهت ان اسير الى عمر رض فى تلك الحالة فاعطيت الثوب والعمامة لخالتي وامرتها ان تبيعه وتصدق به على فقراء

المدينة و خرجت اريد عمر رض فلما اقبلت عليه سامت فرد على
السلام و نظر اليّ و تبسم و قال يا ابن مازن ما فعلت بالديباجك
فقلت يا امير المومنين اعطيته لخالتى و امرتها ان تبيعه و
تتصدق به على ضعفاء و مساكين المدينة فقرا عمر رض و ما تفعلوا من
خير فان الله به عليم ثم امرنى بالجلوس فجلست و استدعا بدواة و
بياض وكتب الى ابي عبيدة كتابا يقول فيه * بسم الله الرحمن الرحيم
و العاقبة للمتقين من عبد الله امير المومنين الى ابي
عبيدة عامر بن الجراح اما بعد فاني احمد الله الذي لا اله الا
هو و اصلي على نبيه وقد فرحت بما فتح الله على المسلمين مما
وعدنا به رسول الله من كنوز قيصر و سيفتح علينا كنوز كسرى
ان شاء الله تعالى وقد بلغني ان بادية الاعراب قد استملت الى
الدنيا و زينتها و تمسكوا بذيل غرورها و نسوا الجنة و قصورها
و رفلوا فى ثياب الديباج و اكلوا الحلوا و خبز الحنطة و الهاهم
ذلك من الآخرة حتى تهاونوا بالصلوة ونسوا المفروضات فجرد لهم عناق
الهمم و اغلظ عليهم ولا تكن لهم حاملا فيطمعوا فيك و من
اخل بشى مما افترضه الله عليه فاقم فيه حدود الله عز وجل
و اعلم انك راع و كل راع مسؤل عن رعيته و كونوا من الذين
ذكرهم الله عز وجل فى كتابه العزيز اذ يقول الذين ان مكناهم
فى الارض اقاموا الصلوة و اتوا الزكاة و امروا بالمعروف و نهوا عن
المنكر ولله عاقبة الامور و لقد قال فيك رسول الله صلعم ابو عبيدة
امين هذه الامة فاعطي الامارة حقها و من ترك صلاة فاضربه عليها

و لقد كان رسول الله يحدثنا و نحدثه فاذا حضرت الصلاة فكانه
لم يعرفنا و لم نعرفه اشتغالا بعظمة الله تعالى و عنه صلعم قال ان
الله تعالى يقول ان بيوتي فى الارض المساجد و ان زوّاري
فيها عمّارها ثاوبي لعبد تطهــر فى بيته ثم زارني فحق على
المزور ان يكرم زايره و قال صلعم اتقوا لله واعلموا ان الله عز
وجل افترض جميع المفترضات على فى الارض الا الصلاة وان الله
عز وجل افترضها على فى السماء و اذا قرأت كتابي هذا فامر
عمرو بن العاص ان يتوجه الى مصر بعسكره و ابعث معه
عامر بن ربيعة العامري و مشايخ من اصحاب رسول الله صلعم يعتضد
بهم عند مشورته و ابعث من تعتمد عليه (الى) ارض ربيعة
وديار الحارث بن صالح والله اساله ان يكون لكم عونا و معينا
و السلام عليك و رحمته الله و بركاته و على جميع المسلمين ❁

قال ثم طوى الكتاب و ختمه و سلمه الى عرفجة بن مازن و امره
بالمسير من بعد ما امر له بنفقة من بيت مال المسلمين قال
عرفجة فاخذت الكتاب و ركبت مطيتى و سرت على طريق
تيماء فلقيت عند ابار لخم بقوم من اهل وادي القرى فسالتهم
عن ابى عبيدة فاخبروني انه نازل على غباغب و هو يريد
المسير الى طبرية قال عرفجة بن مازن فعرجت عن ابار لخم
اطلب الغوير و الجولان و اقصد طبرية فالتقيت بعد ايام
اباعبيدة على الاردن فاقبلت اليه و سلمت عليه فرد على السلام
و ناولته كتاب امير المومنين عمر رض ففضه و قراه سرّا فلما فرغ

من قراته جمع المسلمين اليه و قراه عليهم جهرا فلما فرغ من
قراته قال (يا) معاشر المسلمين متى ما بلغني ان رجلا ترك
صلاة او اخل بشيء مما افترضه الله تعالى عليه لاجلدنه * قال فلما كان
من الغد من اليوم الثاني من وصول الكتاب جاء خالد بن الوليد
بعسكره من طرابلس فقرأ عليه ابو عبيدة كتاب امير المومنين
عمر رض ثم بعث ابو عبيدة بالكتاب الى عمرو بن العاص وهو
يومئذ بقيسارية فلما بلغه الكتاب فضه و قرأه فلما علم ما فيه
وانه يامره بالسير الى مصر بعسكره اخذ على نفسه و تهيا للمسير *
تم فتوح الشام بحمد الله تعالى و منه وكرمه *

* بدو فتوح مصر و سنذكره انشاء الله تعالى *

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الواقدي ولقد بلغني عن الرواة الثقاة ممن روى فتوح
الشام و ارض مصر و ذلك انه لما وصل كتاب امير المومنين عمر
بن الخطاب رض الى عمرو بن العاص يامره بالمسير الى مصر اخذ
على نفسه و تاهب للمسير و سار بعسكره و صحبة ايضا يزيد بن
ابي سفيان و عامر بن ربيعة العامري و جماعة من اكابر
الصحابة و سار معه ايضا عبد الله يوقنا في اربعة الاف فارس
من اصحابه و بني عمه * قال صاحب الحديث و لقد بلغني عن
الرواة ان عبد الله يوقنا و اصحابه لم يرحلوا مع عمرو بن العاص
على الحيطان بل تركب البيداء و تلك الحصون التي في طريق
مصر عن يمينه وهي رفح و العريش والعداد و البكارة و القرمة

وسار قبلة كانه يريد الحجاز و سنذكر فتح هذه الاماكن ان شاء الله تعالى ٭ قال فلما ابعد يوقنا حتى ان كان بموضع يقال له ماء الغوير و عقبة ايلا عرج يطلب ارض مصر قال و كانت ارض مصر الى حدود النوبة التى ساحل بحر الاسكندرية الى العقبة الكبيرة و الكنايس و دير الزجاج وجميع ذلك فى مملكة القبط و كان ملكهم يومئذ المقوقس بن راعيل و كان هذا الملك من اهل الراى و التدبير و الفضل و كان تلميذ الحكيم تاذمون و هو الذي صنع جلجلا لما غلبت الحيات على ارض مصر و اخربتها وصنع هذا الجلجل فكان يحركه فيسمع صوته من رمية سهم فتخرج الحيات من الاجحرة فمن هربت نجت ومن وقفت هلكت وكان المقوقس من اعلم اهل زمانه وكانت القبط معه فى عيشة رضية و امور سنية وكان يتوقع ظهور رسول الله صلعم قال وكان حكيم ذلك الزمان بارض مصر رجل يقال له عطاوس و هو الذى عمل دواليب الريح ورحا الهوي وكان قد عمر فى الاجال و اشترف على مكنون الحكمة و الاسرار و عرف صفة الذهب و الفضة و علم علم الحركات المتحركة بهبوب الرياح و اجناس الاهوية وكان قد اطلع فى العلوم الذي قراها فى الكتب السالفة ان الله عز وجل يبعث نبيا عربيا من ارض تهامة يدعو الناس الى توحيد الله تعالى وعبادته و يظهر كلمة التوحيد و هى كلمته لا اله الا الله محمد رسول الله وينشر دينه فى الارض و تعلو كلمته و تملك اصحابه البلاد من مشارق الارض و مغاربها وعمل بحكمته فى ايام راعيل بن

قطمارس بن المقوقس حيرا عظيما على اعمدة من النحاس موضع يعرف بعين شمس وجعل على الحير اشخاصا مجوفة وجعل وجوهه مما يلى مصر وكتب عليها بالقبطية يقول اذا دارت هذه الاشخاص وجوهها مما يلى الحجاز فقد قرب ملك العرب قال فبينما المقوقس قد ركب فى بعض الايام يريد الصيد والقنص وكان ذلك الركوب فى ايام هجرة رسول الله صلعم فلما بلغ الملك المقوقس فى مسيره الى عين شمس واذا بالاصوات وقد علت من تلك الاشخاص وقد حولت وجوهها نحو الحجاز فايقن الملك بزوال ملكه وذهاب عزه فرجع عن مسيره وترك صيده ودخل قصره وجلس على سريره وجمع الاقسّة والرهبان وكبراء القبط وقال يا اهل دين النصرانية اعلموا ان زمانكم قد مضى وملككم قد انقضى وهذا زمان النبى المبعوث قد اتى وهو النبى المبعوث فى آخر الزمان فلا نبى بعده وان هذا النبى يبعث بالسيف والرعب ولابد لرجل من اصحابه ان يملك البلاد ويذل العباد ويقهر الملوك ويملك ما تحت سريرى هذا فانظروا فى امركم واصلحوا ذات بينكم وارفقوا برعيتكم ولا تجوروا فى احكامكم واياكم واتباع الظلم فان الظلم يزيل النعم ويبيد وخيم واعطوا الحق من انفسكم ولا يستطيل قويكم على ضعيفكم واعلموا ان الدنيا ما دامت لاحد قبلكم حتى تدوم لكم وكما ملكتموها عن من كان قبلكم كذلك يملكها قوم آخرون ياتوا من بعدكم فاصلحوا نياتكم فيما بينكم وبين خالقكم فان انتم فعلتم ذلك رجوت لكم النصر على اعدائكم ومن يريد قتالكم وان اتبعتم اهواءكم تبين لكم هلاككم *

قال ابو عبد الله محمد بن عمر الواقدي اخبرنا عبد الملك
بن محمد عن ابيه عن حسان بن كعب عن عبد الواحد بن ابى عون
عن موسى بن عمران عن حميد الطويل يرفع الحديث الى
ابن اسحاق الراوي لمغازي رسول الله صلعم قال لما هاجر رسول
الله صلعم من مكة الى المدينة و بايعه الاوس و الخزرج كتب
الكتب الى ساير ملوك الارض وكتب فى الجملة كتابا الى المقوقس
بن راعيل ملك مصر و الاسكندرية و كان كاتب الكتاب ابوبكر
الصديق رض وكانت نسخة الكتاب بسم الله الرحمن الرحيم من
محمد رسول الله الى صاحب مصر و الاسكندرية اما بعد فان لله تعالى
ارسلني رسولا و انزل على قرآنا مبينا و امرنى بالاعذار و الانذار
ومقاتله الكفار حتى يدينوا الناس بديني و يدخلوا فى ملتي و قد
دعوتك الى الاقرار بوحدانية الله تعالى فان فعلت سعدت و ان
ابيت شقيت و السلام ثم طوى الكتاب وختمه بخاتمه واسترجع
الخاتم الى اصبعه قال وكان الخاتم من فضة وكان على فصه ثلثة
اسطر السطر الاول محمد و الثاني رسول و الثالث الله فلا ينقش على
خاتم احد من الناس قال ضمرة بن عوف قلت لحميد الطويل اكان
لخاتم رسول الله صلعم فص ام لا قال لا ادرى قال وسال رجل لجابر بن
عبد الله الانصارى فقال فى اى يد كان يختم رسول الله صلعم فقال فى
يده اليمنى قال ابن عباس رض رايت رسول الله صلعم يختم فى يمينه
ويقول اليمنى احق بالزينة من الشمال وقبض الخاتم فى يمينه ثم حوله
الى يساره قال وروى انس بن مالك رض ان رسول الله صلعم كان يختم فى

يسارة وروى جعفر بن محمد عن ابيه قال كان رسول الله صلعم و ابوبكر و عمر و عثمان و علي و الحسن و الحسين رضي الله عنهم يتختمون في اليسار قال فلما طبع الكتاب بخاتمه قال ايها الناس ايكم ينطلق بكتابي هذا الي صاحب مصر و اجره علي الله قال فوثب اليه حاطب بن ابي ثعابة القرشي و قال انا يا رسول الله فقال اعزم بارك الله فيك قال حاطب فاخذت الكتاب و سرت الى منزلي و شددت راحلتي و ودعت اهلي و ركبت ناقتي و استقمت على طريق مصر فلما ابعدت عن المدينة بثلثة ايام اشرفت على ماء لبني بدر فاردت ان اورد ناقتي الماء و اذا انا برجلين على ناقتين و رجل ثالث على فرس ادهم فلما رايتهم وقفت لهم و اذا بالفارس وقد اقبل الي و قال لي من اين اقبلت ايها الرجل و الى اين تريد فقلت يا هذا لا تسال عما لا يعنيك فتقع فيما يحزنك انا رجل عابر سبيل و سالك طريق قال الفارس ما اياك اردنا ولا نحوك قصدنا نحن قوم لنا دم و ثار عند محمد بن عبد الله وقد جئت انا و هولاء الرجلان في طلب ثارنا وقد تحالفنا انا ندخل مدينة يثرب على حين غفلة و نهجم عليه فلعلنا ان نجد منه غرة فنقتله قال حاطب في نفسه و الله لئن امكنني الله منكم لاجعلن جهادي فيكم ولو بالخدعة فقد سمعت رسول الله صلعم يقول الحرب خدعة قال حاطب فبينما انا اخاطب الفارس واذا بالراكبين على الناقتين قد اقبلا نحوي و قالا لي بغلظة و فظاظة ويحك لعلك من اصحاب محمد فقلت لهما لقد كاد ان تضل بكما الطريق عن سبيل التحقيق واني رجل مثلكما

واطلب ايضا ما تطلبا واني قاصد يثرب وقد عولت على صحبتكما لاكون معكم ولكني سمعت في طريقي هذا ممن اثق به ان محمدا قد نفذ رسولا من اصحابه الى صاحب مصر بكتابه وانا مترصد له لعلي اراه واظنه في هذا الوادي مكمنا قال حاطب واشرت الى واد بالقرب منا يقال له وادي الاراك وكثيرا ما كنت البث فيه فارسلوا معي اثبتكم جنانا واجلدكم سنانا حتى نكشف هذا الوادي فان وقعنا به قتلناه قال حاطب فقال لي صاحب الفرس انا اسير معك ثم تقدم امامي وترك صاحبيه وقوفا على مطيهما ودخلنا الوادي وغبنا فيه فلما ابعدت به عن صاحبيه اقبلت عليه وقلت له ما اسمك قال اسمي سلاب بن عاصم الهمداني فقلت له يا سلاب اعلم انه لا يقدر يدخل يثرب الا من له جنان عظيم وقلب قوي قال وما ذا قلت لان بها سادات الارض وابطال العرب مثل عمر وعلي وفلان وفلان لكن كيف سيفك قال سيفي ماض قلت ارني اياه فاستله من غمده وسلمه الي فاخذت السيف من يده وهززته وقلت هذا سيف ماض يا سلاب ثم قلت * شعر *

سيوف حداد يا لوي بن غالب * حداد ولكن اين بالسيف ضارب

قال ما معنى هذا الكلام قلت يا ابن عاصم ان سيفك هذا من ضرب قوم عاد وما ملكت العرب امضى منه ولكن وجب علي اكرامك واني اريد انقرب اليك بحيلة اعلمك اياها تقتل بها عدوك قال بذمة العرب الا فعلت قال حاطب اذا كنت في مقام الحرب وانت تقاتل خصمك وانت تريد قتله هز هذا السيف حتى يلمع وتتبسم

مضاربه واضرب به عدوك على خرزه فانه اسرع للقتل والقطع
ثم صاح به حاطب وقال يا سلاب انظر ترى ذا الراكب المقبل علينا
من صدر الوادي واظنه من اعدائنا فاقبل سلاب يتامل الوادي
فضربه حاطب بالسيف على عنقه واذا براسه طائر عن بدنه وسقط
على راسه الى الارض قتيلا قال حاطب فاسرعت الى جواده واخذته
وربطته الى شجرة لئلا ينهزم فينذر على اصحابه ثم تركته مربوطا
واسرعت الى صاحبيه واذا هما ينظران اليّ فلما رآياني اقبل
احدهما اليّ وقال ما وراك واين سلاب فقلت لهما ابشرا باخذ
الثار وكشف العار واعلما انا وجدنا رجلين من اصحاب محمد وهما
هما نائمين وقد وجهني صاحبكما اليكما ليسير احدكما معي
نتمكن منهما ويبقى احدكما هاهنا فان هذا الوادي لا يخلو من
اصحاب محمد فقالا نعم الراي فسار معي الثاني فاسرعت به وملت
عن طريق المقتول واخذت به في جانب الوادي ثم اقبلت عليه
وقلت له ما اسمك فقال عبد اللات فقلت له كن رجلا واياك
والخوف فاذا هجمنا على الرجلين ايقظ خاطرك ثم نظرت يمينا
وشمالا فقال ما بك فقلت اني ارى غبرة ولا شك ان تحتها قوما
ممن قد صبا الى دين محمد فجعل يتامل كالواله الحيران فعاجلته
بضربة على حين غفلة فالقيت راسه عن بدنه وسقط الى الارض
قتيلا وعدت الى الثالث فلما رآني وحدي تيقن بالشر واقبل
اليّ فقارعني وقارعته وصادمني وصادمته الا ان الله تعالى اعانني
عليه ونصرني فقتلته واخذت الراحلتين والفرس وتركت الجميع

عند رجل من عبد شمس وكان صديقا لى و رفيقا من زمان الجاهلية و ركبت بعيري و توجهت اريد مصر ولم ازل اسير ليلا ونهارا حتى اتيتها فلما رأوني القبط اتباوا اليّ و قالوا الي من اين جئت فقلت انا رسول الى صاحبكم قالوا ممن قلت من عند رسول الله صلعم قال فلما سمعوا ذلك مني احاطوا عليّ وداروا بي من كل مكان و ساروا بي حتى اتوا بي الى قصر الشمع و اوقفوني على الباب و استاذنوا على المقوقس فامر باحضاري فاحضرت بين يديه فلما وقفت بين يديه رايته جالسا على سريره في قبة قد رصعت بجواهر في اركانها و فصوص الياقوت يلمع في حيطانها و حجاب بين يديه قياما فلما وقفت بين يديه ارميت اليه بتحية الاسلام فقال حاجب الملك يا اخا العرب اين كتاب صاحبك قال حاطب فسلمت الكتاب الى الملك من يدي الى يده فاخذه الملك مني بقبول وقبله و وضعه على عينيه وقال مرحبا بكتاب النبي العربي ثم سلمه الى وزيره الباكلين وقال له اقرأه عليّ فقرأه الوزير على الملك الى ان اتى على اخره فقال الملك لخادمه هات السفط الذي سلمته اليك فاتى به الخادم و وضعه بين يديه ففتحه الملك واستخرج منه نمطا وفتحه واذا في النمط صفة ادم والانبياء عم وفي اخر الكل صفة رسول الله صلعم فقال الملك لوزيره قل لهذا العربي يصف لنا صفة صاحبه حتى كانني اراه فقال الوزير لحاطب يا اخا العرب الملك يقول لك صف صاحبك فقال حاطب و من يقدر ان يصف عضوا من اعضاء صاحبي رسول الله صلعم فقال الوزير لابد

ن تجيب سوالك قال حاطب وقمت قايما على قدمي وقلت ان صاحبي
محمد رسول الله صلعم وسلم قسيم معتدل القامة بعيد الهامة بين كتفيه
شامة وهى له علامة كالقمر اذا بزغ صاحب خشوع وديانة وعفة
وصيانة صادق اللهجة واضح البهجة اشم العرنين واضح الجبين سهل
الخدين رقيق الشفتين براق الثنايا بعينيه دعج وبحاجبيه زجج
باسنانه فلج وانف غير ذي عوج وصدر يترجرج وبطن كطي الثوب
المدبج ولسان فصيح ونسب صريح قال فلما سمع الملك وصف حاطب
لرسول الله صلعم قال صدقت والله يا عربي فيما وصفت هكذا صفته
عندنا قال فبينما حاطب يخاطب الملك ويخاطبه اذ نصبت الموايد
واحضر الطعام قال حاطب فامرني الملك ان اتقدم فامتنعت منه
فتبسم وقال يا اخا العرب قد علمت ما احل لكم وما حرم عليكم
واني امرت ان يقدم الى بين يديك لحم الطير فقلت ايها الملك
اني لا آكل فى هذه الصحاف للذهب والفضة فان الله تعالى وعدنا ان
ناكل فيها فى الجنة قال حاطب فعند ذلك امر الملك ان تجعلوا
طعامي فى صحاف الفخار قال حاطب فعند ذلك تقدمت واكلت
فقال لي الملك يا اخا العرب اي طعام يحب صاحبك فقلت الدباء
يعني القرع فكنا اذا حضرنا طعاما وبين يدينا منه شيء اثرناه
منه وانه صلعم دعي الى منزل من منازل قومه فقدم اليه قصعة
بها الثريد وعليها الدباء فجعل يتبع الدباء فما زلت احبه لمحبة
رسول الله صلعم له قال الملك يا اخا العرب فى اي شيء يشرب الماء قلت
فى قعب من الخشب قال اتحب الهدية قلت نعم وقد قال لو دعيت

الى

الى كراع لاجبت ولو اهدي الي ذراع لقبلت قال الملك ايقبل الصدقة
قلت لا بل يقبل الهدية و سمعته يقول لو نسلم الناس لتهادوا من
غير جوع ولقد رايته اذا اوتي بالهدية لم ياكل منها حتى يا كل
اصحابه منها قال المقوقس ايكتحل قلت نعم يكتحل فى عينه اليمنى
ثلثا و فى عينه اليسري اثنين و قال من شاء اكتحل اكثر من ذلك
او اقل وكان كحله الاثمد و ينظر فى المراة و يرجل شعره ولا يفارق
المرأة و المكحلة و المشط والسواك فى سفره ولا فى حضره ولقد
رايته يتجمل لاصحابه فضلا عن تجمله لاهله ولقد قالت له ذات يوم
عايشة رض وقد نظر في ركوة فيها ماء وجعل يسوي شعره قالت عايشة
رض بابي وامي يارسول الله تنظر فى الركوة وتسوي شعرك وانت رسول
الله و خير خلقه فقال يا عايشه ان الله تعالى يحب لعبده اذا خرج
الى اخوانه ان يتجمل لهم فقال المقوقس فاذا ركب فى جيش ما
الذي يحمل على راسه فقلت راية سوداء ولواء ابيض مكتوب عليه
لا اله الا الله محمد رسول الله قال المقوقس اله كرسي يجلس عليه اوقبة
قال حاطب نعم له كرسي قوايمه حديد و رايت له قبة من الادم
يجلس تحتها نحو من اربعين رجلا قال الملك فما الذي يحب
من الخيل قلت الارثم المحجل الاشقر فى السبق و قد تركت
عنده فرسا يقال له المرعرع قال فلما سمع الملك المقوقس
قول حاطب انتخب من خيله فرسا من خيار خيله الموصوفة و اسرجه
والجمه واعده للنبي صلعم و هو فرسه المامون وحمارا يقال له عفير
وبغلة يقال لها الدلدل و جاريه سوداء يقال لها بريرة و جاريه

بيضاء من اجمل بنات القبط يقال لها مارية وغلام اسمه مابور
ومسكا وعودا وطيبا ونديّ وعمايم قباطي وامر وزيره ان يكتب
الى رسول الله كتابا يقول فيه بسمك اللهم من المقوقس الى محمد
اما بعد فقد بلغني كتابك وقراته وفهمت ما فيه وانت تقول
ان الله تعالى ارسلك رسولا وفضلك تفضيلا وانزل عليك قرآنا
مبينا وقد كشفنا يا محمد في علمنا عن خبرك فوجدناك اقرب داع
الى الله واصدق من تكلم بالصدق ولولا انى ملكت ملكا عظيما
لكنت اول من سار اليك لعلمي انك خاتم الانبياء وسيد المرسلين
وامام المتقين والسلام ورحمة الله وبركاته الى يوم الدين قال
حاطب وسلم الكتاب اليّ والهدية وقبل بين عيني وقال بالله
عليك يا حاطب هكذا قبل بين عيني محمد عني ثم امر جماعة
من اصحابه ان يسيروا معي قال حاطب وسرت ليلا ونهارا والقبط
معي حتى دخلت بلاد العرب ووجدنا قافلة من الشام تريد المدينة
فرددت اصحاب الملك المقوقس وسرت مع القافلة حتى وصلت مدينة
رسول الله صلعم فاقبلت الى المسجد وانخت ناقتي وعقلتها وتركت
الهدية على باب المسجد ودخلت المسجد واقبلت الى رسول الله صلعم
وسلمت عليه وعلى من كان بين يديه من الصحابة ووقفت على
قدمي وابتدئ ان اقول *   * شعر *

* انعم صباحا يا وسيلة امة * ترجوا النجاة غداة يوم الموقف *
* اني مضيت الى الذي ارسلتني * اطوي المهامه كالمجد المدنف *
* حتى رايت بمصر صاحب ملكها * فبدا اليّ بمثل قول المحتف *

فيقرا كتابك حين فك ختامه * فاضل يرعد كاهتز از المرهف
قال الجبابرة الذين تجمعوا * ما ذا بريعك من كتاب مشرف
قال اسكتوا يا ويلكم و تيقنوا * هذا كتاب لا لا من مصحف
قالوا وهمت فقلت ليس براهم * لكن قرات بيان خط الاحرف
في كل سطر من كتاب محمد * خط يلوح لناظر متوقف
هذا الكتاب كتابه لك جامعا * يا خير مبعوث بفضلك نكتفي
قال حاطب ثم سلمت كتاب المقوقس الى النبي صلعم فسلمه النبي عم
للامام على ؓ وقال يا على اقراه علينا قال فلما قراه الامام على النبي صلعم
قال بارك الله للقبط فى دنياهم فقد عرفوا الصواب و اوضحوا الخطاب
ثم امر بالهدية فاحضرت بين يديه فقال كل ذى روح خاصة لي
قال فاختص بمارية القبطية وجعل مهرها عتق رقبتها و اولدها
ولدا سماه ابراهيم عاش سنتين او اقل من ذلك و مات فلما مات
كسفت الشمس فقالوا المسلمون يا رسول الله انما كسفت الشمس
لموت ولدك ابراهيم فقال لا تكسف الشمس و القمر لموت احد
من الناس لانهما آيات من آيات الله تعالى فاذا كسف بهما فارجعوا
الى الصلات و اخذ الجارية السوداء و الغلام و الفرس و البغلة
والحمار ثم قسم باقي الهدية على اصحابه بالسوية *
قال الواقدى ورجعنا الي الحديث قال حدثنا احمد بن عبيد بن ناصح
قال اخبرنا ابو عبد الله بن يزيد الهذلي قال وحدثني ابن اسحاق
الاموى وهو المعتمد عليه فى فتوح ارض مصر وارض ربيعة الفرس
قال عمرو بن حفص ولم ينفرد بهذه الرواية سوى محمد بن اسحاق

لانه كان اصحاب السير قد اشتغلوا بوقائع العراق وفتوحه وما تجدد بين سعد بن ابي وقاص وبين كسرى انوشروان وتركوا فتوح الشام وارض مصر فيما بعد وكان قد ارتج عليهم شدها بعدما من الوقائع فتركوه لاجل الزيادة والنقصان فيه وانما تفرد به ابن اسحاق لانه اخذه من مشايخ ثقات وثق بهم من آل مخزوم اجتمع بهم في الرملة بعد الفتوح احدهم نوفل بن مساحق المخزومي وكان ابن عم خالد بن الوليد وكان من المعمرين وكان ممن شهد تبوك مع رسول الله صلعم وشهد قبل ذلك الحديبية وشهد يوم اليمامة ومسيلمة وكان مع عمرو بن العاص بارض مصر وكان قد حضر جميع فتوح الشام والثاني فهد بن عاصم بن عمرو بن مقبل بن عمرو المخزومي وغيرهما من الثقات ممن شهد فتوح مصر والوقائع كلها قالوا جميعا ان عمرو بن العاص لما انفصل من ساحل الشام سار يريد ارض مصر فلما كان بموضع يقال له رفح انفصل بوقتنا من العرب بجيشه وقال لعمرو بن العاص انت تريد ان تدخل ارض مصر بجيشك مهاجمة لعلك ان تدهمها وتملكها على حين غفلة وانا اريد انفرد منكم واتقدم امامكم لعلي انال منها ما اريد واملكها لكم بالحيلة والخديعة قال عمرو بن العاص عمر وفقك الله تعالى واعانك وحفظك وكلأك قال وانخلس بوقتنا بجيشه منهم ليلا وسار من رفح ولم يتعرض للعريش ولا للواردة ولا للبلقارة وكلها حصون عامرة وقد سكنها قوم من العرب المتنصرة وهم يؤدون المال للملك المقوقس بن راعيل سنذكر فتوحها فيما بعد ان شاء الله

تعالى قال صاحب الحديث ولم يزل يوقنا يجد السير ليلا ونهارا
حتى اشرف على القرمة وكان عليها وال من قبل الملك المقوقس
اسمه الديندان وكانت القرمة على جانب بحيرة تنيس مما يلي
الشرق فلما اقبل عليها يوقنا بجيشه راى عليها خياما منصوبة
وفساطيط مضروبة فلما اشرف عليها يوقنا بجيشه وقع الصياح فركب
واليها ومن كان هناك من جند الملك قال صاحب الحديث فكانت
اخبار الشام ترد اليهم فى كل يوم بما فعلوا اصحاب رسول الله صلعم
فلما ملكوا الساحل وقيسارية وهرب الملك قسطنطين منها بلغهم
ايضا الخبر واغتموا لذلك غما شديدا وكان السبب فى اغتمامهم
لذلك لان الملك قسطنطين بن هرقل كان قد تزوج بارمانوسة
ابنة الملك المقوقس صاحب مصر وكان ابوها قد جهزها باموالها
وجواريها الى بلبيس على انها تسير الى زوجها قسطنطين بن هرقل
فلما وصلت الى فاقوس اتاها الخبر بان العرب قد نزلت الساحل
وقد تملكت مدنه وحصونه وقد ملكت ايضا قيسارية وان ملكها
قسطنطين بن هرقل قد ركب المراكب بجواريه وحرمه وخزائنه
وسار فى البحر يريد القسطنطينية فلما بلغها الخبر بذلك رجعت
الى بلبيس ووجهت حاجبها تميلا بطوس فى الفي فارس الى القرمة
وامرته بحفظ ذلك المكان خوفا من العرب قال صاحب الحديث
حدثنا موسى بن محمد بن ابرهيم بن الحرث التميمي قال حدثني
اسامة بن زيد بن اسلم قال ابن اسحاق حدثني رجل من القبط
كان من جند المقوقس صاحب مصر التقيت به فسالته عن امره وكان

رجل قد دخل فى الاسلام فقلت له كيف كان امركم لما وصلكم الخبر
بان العرب قد ملكت الشام و بلادها وحصونها و قتلوا ابطالها
و بطارقتها وهزموا ملوكها قال لي فلما بلغ الخبر الى المقوقس بذلك
بعث رسله الى اطراف بلاده مما يلى الشام ان لا يتركوا احدا من
الروم ولا غيرهم من اهل بلاد الشام ان يعبروا ارض مصر ولا
يدخلوا بلاد الملك كل ذلك خوفا ان يتحدثوا بما صنعوا العرب بجنود
الشام و ما قتلوا فيدخل خوف العرب بقلوب القبط فيوهنوا لذلك
قال و لما توجه يوقنا الى ارض مصر واقبل الى العريش اقبل عليه
اهلها و قالوا ايها البطريق اخبرنا بامرك و ما سبب قدومك فقال
انا قوم من الروم من جيش الملك هرقل و ان العرب قد ملكوا
بلاد الشام و ازاحوا ملوكها عن اسرتها و اخرجوهم من بلادهم
وقلاعهم و سكنوا ديارهم ونحن قوم قد اقبلنا نريد مصر ونكون
مع ملكها وتحت ركابه ونعيش فى نعمته قالوا فما فعل الملك
قسطنطين بن هرقل صاحب قيسارية قال يوقنا و ما الذى تريدون
بسوالكم عنه قالوا فما الذى اشغله عن زوجته ارمانوسة بنت الملك
المقوقس فان الملك ابوها قد جهزها باموالها وخدمها وجواريها
ليبعثها اليه قال ليس لي علم بذلك قال صاحب الحديث فلما
سمع يوقنا بذلك انفتح قلبه و قوى عزمه على ما عزم ودبر حيلة
فى قلبه وسار وقد انفتحت له ابواب الحيل والخداع وجعل كلما
مر بحصن من الحصون فى طريقه وسالوه ايضا عن امره وسبب
قدومه يخبرهم بامره و يجاوبهم بمقتضى حيلة وكان يوقنا رجلا

عاقلا عارفا بصيرا بامور الحرب ومواقعها صاحب حيل وخداع فلما قطع تلك الحصون ووصل الى القرمة راى خياما منصوبة وفساطيط مضروبة فوقع الصياح بقدومه وركب والى القرمة والحاجب الكبير وكل من كان هناك من الجيوش واقبلوا الى يوقنا وسألوه عن امره فقال يوقنا للحاجب ايها الصاحب اعلم ان الملك قسطنطين ارسلني حتى اتسلم الملكة ارمانوسة واسيرها في المراكب والحق به الى القسطنطينية قال فلما سمع الحاجب كلامه ونظر الى حشمته وعظم جيشه صدقه ودخلت عليه حيلته وقال ان الملكة ارمانوسة قد جهزها ابوها باموالها وخدمها وجواريها فما منعها من المسير الا الخوف من العرب وبلغها ايضا الخبر برحيل زوجها من قيسارية الى القسطنطينية فهل لك علم بمسيره قال يوقنا انا سرت من عنده وهو على نية الركوب والمسير وقد امرني ان آخذ زوجته واسير بها في البحر والحق به الى القسطنطينية قال فلما سمع الحاجب كلام يوقنا قال له انزل هاهنا بعسكرك حتى اصل الى الملكة ارمانوسة واخبرها بخبرك ثم اوصى به الوالي ووكد الوصية وسار حتى وصل الى الملكة ودخل عليها وسجد لها وحدثها بحديث يوقنا وما تكلم به فقالت علي به فركب الحاجب ثميلا طوس واسرع الى يوقنا وامره بالركوب والمسير الى الملكة فركب يوقنا وركب جيشه واتوا الى عسكر ارمانوسة واذا به عسكر كبير يزيد على عشرة الاف فارس فترجل يوقنا واصحابه ووقفوا على باب سرادقها حتى استاذنوا عليها فاذنت له بالدخول فلما وقف يوقنا بين يديها سجد لها فامرت له بكرسي

زبر خط خدمت بپوسید

من الحديد فوضع له وامرته بالجلوس فجلس ووقفوا الحجاب بين يديها والخدم والمماليك من يمينها وشمالها فقالت الملكة ارمانوسة من غير ترجمان كان بينهما وكانت لغة القبط لا تشبه لغة الروم ولكن الملوك كانوا يحفظون اكثر اللغات ليستعملوها في وقت حاجتهم اليه فقالت له بلغة الروم كم لك منذ فارقت الملك قال منذ شهر قالت اكان قد رحل في مراكبه ام لا قال يوقنا بل فارقته حين بعث بي الى خدمة الملكة فسرت وهو على نية الركوب في البحر والرحيل فلما بلغت الى غزة بلغني الخبر انه ركب في المراكب وسار في البحر يريد القسطنطينية وانه حدثني في السر فيما بيني وبينه انه لا طاقة له بقتال العرب وقال ان ابي ولى هاربا من انطاكية من خوفه من العرب واعلم يا يوقنا ان ابي قاتلهم بجنوده واستنصر عليهم بكل من عبد الصليب من اهل بلاد النصرانية من جميع الاجناس ونفذ ماهان الارمني في ستماية الف فارس غير العرب المتنصرة الى اليرموك فكسروا جيوشه وقتلوا بطارقته وقتلوا ماهان الارمني واذا قد عزمت ان اخذ حريمي وخزايني واموالي والحق بابي واكون في القسطنطينية آمن على نفسي وحريمي واموالي ثم وجهني اليك حتى اخذك واسير بك في المراكب والحق به قال فلما سمعت ارمانوسه كلام يوقنا وما تكلم به اطرقت الى الارض ثم رفعت راسها وقالت له اني لا اقدر اصنع شيئا الا بامر الملك وسوف اكاتبه واخبره بهذا الامر ثم امرته بالانصراف فصفع لها وخرج من بين يديها فوجد غلمانه قد

عدينة حمص و هرقل يوقنا فنزل يوقنا بسرادقه و اقبلت اليه
الاملاك و اصحاب من الملكة ارمانوسة و انطوت تحولهم قال
ابن اسحاق و بلغني ان ملك الملك من بينهم و جعلت
جواسيس الملكة اليها و حدثوها بفتح قيسارية و مداين الساحل
و مسير عمرو بن العاص الى مصر و حديث يوقنا و اتصاله من
عمرو و ما قد عزم عليه من الحيلة و حذروها من يوقنا و قالوا
لها انه صاحب حلب و قد دخل في دين العرب و هو الذي فتح
طرابلس و صور بالحيلة فلما سمعت ارمانوسة ذلك من جواسيسها
دخل الرعب قلبها و علمت ان الذي قالوه حقا وانه يريد ان يمكر
بها فاستدعت حاجبها و قالت له جميع ما حدثوها به جواسيسها
و امرته ان يامر عسكرها باخذ الاهبة و لبس السلاح وان يكونوا
مستيقظين ثم قالت لمماليكها و غلمانها اذا جاء هذا الرجل الرومي
و خواص اصحابه فاقبضوا عليهم فاذا ملكناهم تبددوا اصحابهم
فلما رتبت هذا الترتيب بعثت خادمها الى يوقنا قال ايها البطريق
الكبير ان الملكة تستدعيك اليها لتوعيك بما تحدثت به هذه
الانبا فقال له يوقنا ارجع اليها و قل لها السمع و الطاعة ها انا راكبا
مع خواص اصحابي و اسير اليها ثم جمع يوقنا اكابر اصحابه اليه و قال
لهم يا بني عمي اعلموا ان ملكة هولاء القوم قد نفذت الينا
لنمضي اليها و ما وجهت الينا في هذا الوقت الا وقد شعرت بامرنا
و بحديثنا و اعلموا ان القوم ان وقعنا بايديهم قبضوا علينا و قتلونا
و جعلونا مثلة لمن ياتي بعدنا من المسلمين فموتوا كراما ولا تلقوا

وابليكم الى القتل ونموت على نصرهذا الدين فما نحن من الخالدين وما عسى ان نرجو من هذه الدنيا الغدارة الذي ما اصفت ودها لاحد الا وغيرته بالكدر وقد رايتم ما كنتم عليه من الامر والنهي ثم زال ذلك منكم فاعمروا الآن دار البقاء جاهدوا القوم فلعلكم ترضوا بجهادكم ربكم وتمحوا ما سلف من كفركم قال فلما سمع القوم من صاحبهم يوقنا ما وعظهم به انفتحت بصايرهم وقوي ايمانهم وعزموا على جهاد عدوهم واخذوا اهبتهم واتكلوا في جموع امورهم على ربهم قال ابن اسحاق وان الملكة ارمانوسة لما رجع اليها خادمها واخبرها بما قال يوقنا باتت تنتظره حتى يقدم هو وخواصه وقد عزمت على قبضهم فما اتوا اليها فلما ابطا عليها مجيهم بعثت اليه الخادم مرة ثانية يستحثهم على القدوم عليها فقال له يوقنا ارجع الى صاحبتك وقل لها ما جرت به عادة الملوك ان يستحضروا بالرسل الا لامر حدث وقد كنت في النهار عندها فما الذي تريد مني نصف الليل فعاد الخادم الى الملكة واخبرها بمقالة يوقنا فعند ذلك تبين لها صحة ما قالوا لها جواسيسها وثبت عندها ان يوقنا ما اتى باصحابه اليها الا لينصب اليها ويأخذها ويقبض ايضا على ابيها ويملكوا بلادهم فركبت من وقتها وساعتها وامرت جيشها بالركوب ودارت بيوقنا واصحابه حتى ولى الظلام واقبل النهار فعند ذلك اقبل حاجب الملكة الى يوقنا واصحابه وقال ايها البطريق الكبير ما حملك انت وقومك ان تتركوا دين المسيح وما كان عليه اباؤكم واجدادكم وهجرة

المسيح وامه وجئتم تحتالون علينا الا وان المسيح قد غضب
عليكم وسلطنا عليكم فلا نبقي منكم احدا فقال يوقنا ان المسيح
عبد الله لا يقدر على شيء الا بامر الله لانه عبد مامور مكلف
وقد انطقه الله تعالى بذلك في المهد فقال اِنِّي عَبْدُ اللّٰهِ آتَانِيَ
الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا اَيْنَمَا كُنْتُ وَاَوْصَانِي بِالصَّلٰوةِ
وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا وَالسَّلَامُ
عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ اَمُوتُ وَيَوْمَ اُبْعَثُ حَيًّا ۞ ومن يومر بالصلوة
والزكوة ويموت فليس باله وانما هو عبد مكلف للعبادة مثل واحد
منا وان الله تعالى لا يشبهه احد من الخلق لانه هو الخالق الذي
خلق الدنيا باسرها وانما اغواكم الشيطان واضلكم بولس وصدكم
عن طريق الحق بتقوله على المسيح غير الحق وقد كنا مثلكم
نقبل الصلبان ونعظم الصور والقربان وندعي في المسيح ونجعل
مع الله الها آخر الى ان ظهر لنا الحق وبان لنا الصدق وعلمنا ان
دين محمد صلعم هو الدين الحق الواضح الذي كانت عليه الانبياء
عليهم السلام من قبل فهدانا الله تعالى اليه وعلمنا ان المسيح
عيسى بن مريم روح الله وكلمته ونبيه ورسوله الى خلقه وذلك
قول الله تعالى في كتابه العزيز الذي انزل على محمد صلعم نبيه
اخبارا عنه مَا الْمَسِيحُ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ اِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ
الرُّسُلُ وَاُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَاْكُلَانِ الطَّعَامَ وكما نقول ايضا ان ابراهيم
واسحاق كانا نصارى فكذبنا الله تعالى في كتابه العزيز اذ يقول
عز من قائل مَا كَانَ اِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلٰكِنْ كَانَ حَنِيفًا

حنيفا وما كان من المشركين وقد قال الله تعالى ايضا في كتابه العزيز
اثباتا لملة نبيه محمد صلعم ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل
منه وهو في الآخرة من الخاسرين وها نحن قد جئناكم لنجاهدكم
الا ان تقولوا لا اله الا الله محمد رسول الله صلعم قال فلما سمع الحاجب
قول يوقنا قال لقومه دونكم هولاء الذين اتوا يريدون قتلكم و(ان)
يملكوا بلادكم وينهبوا اموالكم ويستعبدوا حريمكم واولادكم قال
فحملوا القبط على يوقنا واصحابه وصاحوا عليهم وداروا بهم قال وقاتل
يوقنا واصحابه ورفعوا اصواتهم بقول لا اله الا الله محمد رسول الله صلعم
وقاتلوا قتالا شديدا الا ان عسكر القبط في عشرة الاف فارس ويوقنا
واصحابه في اربعة الاف فارس قال وبلي يوقنا بما لا طاقة له به و
قتل من اصحابه جماعة وجرح منهم جماعة كثيرة الا ان القتل
كان في القبط اكثر وصبر يوقنا واصحابه صبر الكرام ولم يزالوا في
قتال شديد وضرب عنيف الى ان ولي النهار بضيائه واقبل الليل
بظلامه وافترق الجيشان بعضهم من بعض ورجعت الملكة ارمانوسة
الى سرادقها وقد هالها ما رات من يوقنا واصحابه وثباتهم و
شدة قتالهم قال صاحب الحديث حدثني عبد الله بن حفص عن
عبد الله بن الحرث انه لما اخبرت الجواسيس للملكة ارمانوسة بقصة
يوقنا وبمسير عمرو بن العاص الى مصر كتبت من ساعتها كتابا
الى ابيها المقوقس تخبره بقصة يوقنا وبمسير عمرو بن العاص
بعساكره الى مصر وانها معولة على حربهم وسالته ان يرسل لها
بعسكر نجدة وتقول انا منتظرة الجواب والنجدة وبعثت بالكتاب

و قالت للرسول اسرع و عد بالجواب سريعا قال و سار الرسول
بالكتاب فلما وصل الى الملك خدم و سلم وناوله الكتاب ففضه وقراه
فلما علم ما فيه دعا بارباب دولته و قال لهم قد تم من الامر كذا و
كذا فماذا الذي تشيرون به قالوا ايها الملك انجدها و انصرها و
نفذ لها جيشا و بعد ذلك ابعث كتبك الى اطرف البلاد مع رسلك
و اطلب منهم النجدة فهم يسيروا الجيوش منهم ملك البجاة و ملك
البربر و ابعث ايضا الى نايبك بالاسكندرية يبعث لك بمن عنده
من العساكر وكذلك الى نايبك بالصعيد الاعلى ينجدك ايضا
فاذا اجتمعت اليك هذه العساكر التق بهم العرب ولا تهمل امرهم
فيتجروا عليك و يطمعوا في ملكك كما تجروا على غيرك و ملكوا
بلادهم و هزموا ملوكها قال المقوقس يا اهل دين النصرانية و بني
ماء المعمودية اعلموا ان الملك يحتاج الى سياسة وكل من ملك عقله
ملك رايه و من ملك رايه امن حوادث الدهر و ليس الغلبة بالكثرة
و انما هي بحسن التدبير والله لقد كان هرقل ملك الروم اكثر مني
جندا و اوسع بلادا و اعظم عدة و جمع من بلاد الروم الى اليونان
الى بلاد جنوه و اقليم بلاد الاندلس واستنصر بنا و بغيرنا فما
اغنى عنه جمعه شيئا ولا قدر ان يرد القضاء و القدر و اعلموا ان
العقل هو اساس الادمي المخاطب المكلف المفضل به على ساير ما خلق
الله تعالى على وجه الارض من المخلوقات فمن ملك عقله ملك امره
و من لم ينل من امره شيئا كان بجهله ارضى و اعلموا انه لا ينال
احد الحكمة الا بالعقل و لقد قال الحكيم ماسيوس الحكمة مرقاها

جليل وطالبها نبيل وتاركها ذليل لانها عز الارواح وقوت القلوب
و اعلموا اني لست اتكلم بهواء ولكن علي ان اعرل الحق و تكلم
بالصدق وانتم تعلمون ان نبي هولاء القوم محمد بعث الينا يدعونا
الى دينه فاستدللت على صدق قوله بكتابه وما ظهر للناس من
معجزاته وقد سمعتم انه من حين بعث لا يسمع احد بذكره
الا خاف منه واجاب دعوته ولقد بلغنا من بعض معجزاته ان القمر
انشق له واجاب الى دعوته وسلم عليه ولقد بلغنا ايضا من
معجزاته ان الذراع المسموم كلمه وقال يا رسول الله لا تاكلني فاني
مسموم وكلمه الضب والحجر وسجد له الشجر وشهد له بانه
رسول الله وعرج به الى السماء وركب موج الماء واعلموا انه اول
من عاداه قومه وحاربه عشيرته وانكروا قوله وما جاء به وهم هولاء
الذين فتحوا الشام فلما علموا انه جاء بالحق وكلامه صدق فآمنوا به
ونصروه وجاهدوا بين يديه وهاهم قد اخرجوا الروم من ارضهم وملكوا
بلادهم وقلاعهم وحصونهم وقد اقبلوا الينا يريدون ان يفعلوا بنا
كما فعلوا بغيرنا وانتم الآن ما انكرتم من امر هولاء القوم الا انهم
يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون حدود الله التي امرهم بها
وما في كتابهم من شيء الا وفي الانجيل مثله ولقد اضلكم (الشيطان)
بولس واغواكم بتقوله غير الحق وغركم وبدل شرعكم باسم لا
يليق وحاد بكم عن الطريق واحل لكم جميع ما حرم الله عليكم
في كتابكم الذي انزله على نبيكم وهذا عين المحال وداعية العمى ان
تتبعوا ما قال بولس وتدعوا ما قال الله تعالى في كتابه الذي انزله

على نبيكم وكيف ينبغي لروح الله عيسى بن مريم ان يامركم بغير ما ارسله الله (به) اليكم و ان يقول لكم بولس قد قال المسيح لى فى النوم انه احل لكم لحم الخنزير و يامركم بارتكاب المعاصي ما ظهر منها و ما بطن فاطعتم امره و صدقتم قوله و حاشا المسيح ان يفعل هذا او يتكلم به و ما كان احد من الانبياء الا على ما جاء به محمد و الحكماء الاولون ما منهم الا من تكلم بوحدانية الله تعالى و قد قال الحكيم دموبا الذي صنع دير تراحميم وجعلها مثلا للامم الآتية فى الاحيان الى آخر الزمان وصور صور الحكماء وصور ايضا صورة و كتب على راسها بقلم اليونانيين اربعة اسطر الاول من خاف الوعيد سلا عما يريد والثاني من خاف مما يبديه صارما فى يديه والثالث ان كنت تطلب الجزيل فلا تنم ولا تقل و الرابع بادر قبل نزول ما تحاذر فمن كان هذا كلامهم فكيف صنعوا سواء و هذه فريضة مذهب المتدينين قال فاطرقوا القوم رؤسهم الى الارض غضبا على الملك المقوقس لاجل ما تكلم بهذا الكلام قال صاحب الحديث وما تكلم الملك المقوقس بهذا الكلام حتى استوثق من مماليكه وحجابه و اوقف على راسه الف غلام بالسيوف لانه كان قد بلغه بما جرى لهرقل ملك الروم حين وعظ بطارقته ونصحهم فوثبوا اليه و ارادوا قتله فلاجل هذا استوثق المقوقس من اصحابه حتى تكلم بهذا الكلام ثم اقبل الملك على وزيره و قال له اكتب الى ابنتي كتابا و امرها فيه ان تتلطف بالقوم و تعطيهم الامان و تنفذهم الينا حتى تطيب قلوبهم و نخلع عليهم و يكونوا معنا و يقاتلوا اعداءنا و من يقصد بلادنا

و ما كان قصد الملك بذلك الا ان يتخلص يوقنا و اصحابه من يد القبط اذ علم انهم على الحق قال فكتب الوزير كتابا الى الملكة ارمانوسة بذلك و بعث به و قال للرسول اسرع قال فسار الرسول بالكتاب و اسرع حتى اتى الى الملكة ارمانوسة و النهار قد ولى و قد انفصلوا من الحرب و رجعوا القبط الى خيامهم و رجع يوقنا و اصحابه الى خيامهم و مضاربهم قال فلما بلغ الرسول بالكتاب الى الملكة ارمانوسة خدم و سلم و ناولها الكتاب فاخذته و ناولته الحاجب فقراه عليها فلما سمعت ما فيه اخذته من يده وطوته و سلمته الى خادمها و امرته ان يسير بالكتاب الى يوقنا فاخذه و سار الى يوقنا و ناوله الكتاب ففضه و قراه فلما علم ما فيه اقبل على الخادم و قال له ارجع الى الملكة و قل لها نعم حتى نشاور انفسنا فيما ذكر الملك فلما رجع الرسول بالكتاب اقبل يوقنا على اكابر اصحابه و قال لهم والله لقد كشف الله تعالى حجاب الغفلة عن قلب هذا الملك وقد ظهر له ما ظهر لنا من الحق فما الذي ترون من الراي قالوا انا لا نسمع الامن قولك فقال دعوني لارى رايي في هذه الليلة فتركوه كما يريد فلما جن عليه الليل و قد طاب قلبه و امن على نفسه و اصحابه برجوع القبط عنهم قام يصلي ما فاته من فرضه فبينما هو قايم يصلي واذا برجل قد دخل عليه فلما علم به يوقنا و رآه قايما عنده اوجز في صلاته فلما فرغ من صلاته سلم عليه الرجل فرد عليه يوقنا السلام وتبينه فعرفه واذا هو عمرو بن امية الضمري لانه كان قد راه و هو على حرب انطاكية حين اتاه رسولا من عند

ابي عبيدة فلما عرفه فرح به و قال ما وراك ايها الشيخ قال عمرو يا يوقنا ان امير المسلمين عمرو بن العاص قد بعثني اليك لاكشف خبرك واعود اليه فقال يوقنا واين تركته يا عمرو قال عمرو بالقرب منك يكون بينك و بينه ثلث فراسخ او اقل من ذلك قال و حدثه يوقنا بحديثه و ما كان من امره مع الملكة ارمانوسة و قال يا عمرو ارجع الى الامير عمرو وقل له يسرع لي قال فرجع عمرو بن امية الضمري مسرعا الى الامير عمرو بن العاص واخبره بقصة يوقنا و ما حدثه به قال فترك عمرو بن العاص الاثقال و الرجال و الغنايم التي كانت معهم من غنايم الروم بالساحل و ترك عليها للمحافظة عامر بن ربيعة العامري في الف فارس وسار عمرو بن العاص بجيشه تحت الليل فكان عند طلوع الفجر عند يوقنا و اصحابه فما طلعت الشمس حتى داروا بالقبط و رفعوا اصواتهم بالتهليل و التكبير و كبسوا على القوم فحاطوا بهم فوضعوا فيهم السيف فما طلعت الشمس و ارتفعت حتى قتلوا من القبط نيف عن الف فارس و اسروا خلقا كثيرا و ولوا الباقي منهزمين يريدون مصر و ملكوا المسلمون السرادقات و الخيام و قبضوا على ارمانوسة ابنة الملك و اخذوا جميع مالها و جواريها و سرادقها و رحالها واقبل عمرو بن العاص على يوقنا و سلم عليه وهناه بالسلامة و نزلوا المسلمون و قد غنموا غنيمة عظيمة و لحق عامر بن ربيعة العامري لعمرو بن العاص الظعن والغنايم والاموال قال صاحب الحديث فلما ملك المسلمون الملكة ارمانوسة و اموالها و رحالها و جواريها ونزلوا المسلمون

واستقروا بخيامهم امر عمرو بن العاص باكابر من الصحابة ان يجتمعوا اليه فلما جلسوا بين يديه اقبل عليهم وقال يا اصحاب رسول الله صلعم اعلموا ان الله عز وجل قال في كتابه العزيز هل جزاء الاحسان الا الاحسان قال وكانوا الاكابر الذين اجتمعوا يزيد بن ابي سفيان وهاشم بن سعيد الطائي والقعقاع بن عمرو التميمي و خالد بن سعيد السهمي و عبد الله بن جعفر الطيار فقالوا وما تريد بقولك قال اعلموا ان هذا الملك قد افرحه الله تعالى وكاتب نبينا رسول الله صلعم وبعث له هدية ونحن احق من كافا عن نبيه و قد رايت ان انفذ الى المقوقس ابنته وجميع ما اخذنا من اموالها و جواريها ونحن قوم نتبع سنة نبينا اذ يقول ارحموا عزيز قوم ذل وغني قوم افتقر قال فاستصوبوا رايه وقالوا نعم ما امرت به فبعث بها عمرو الى ابيها مكرمة مع جميع ما كان لها مع قيس بن سعيد قال صاحب الحديث هذا من امر الامير عمرو بن العاص و اما ما كان من القبط فانه لما ولوا منهزمين و دخلوا مصر ودخل على الملك المقوقس اكابر قومه واخبروه بما تم على عسكره ومن قتل منهم ومن اسر منهم واسر ابنته ضاق صدره لاجل ذلك وبقي مفكرا في امره وفيما يصنع وليس له نية في قتال العرب فبينما هو كذلك اذ جاء البشير بقدوم ابنته واموالها وجواريها و رجالها وخدمها ففرح بذلك وسلا عنه بعض ما كان يجده وعلم ان القوم منصورون فلما دخلت ارمانوسة قصر ابيها امر باحضار قيس بن سعيد فلما حضر بين يديه رفع محله واكرمه واكابر دولته والوزراء والحجاب عنده قد اتوا ليهنوا

بل شربهم واحد غير متنافين ولا متضادين بل متحابين متواصلين فتعجب الاسكندر مما راي وبصر واقبل على عقلاء منهم وسالهم عما راي منهم ومن حالهم ونصت الى مقالهم فقالوا ايها الملك السعيد انا وجدنا جمجمة وعليها مكتوب يا ابن ادم الهاك املك حتى كانك خال من عملك فاعجلك اجلك فصرت الى التراب اللذيذ عليك الاحباب وخلوت بما قدمت اما صالحا فسرك واما وكابر صالح فندمت حيث لا ينفعك ندمك وتمنيت ان يكون ما في الدنيا مرجع لترجع عن الذي الهاك وتقا ... من اذ الحمار عندهم في منزلة الوضع فقال قيس ان الله سبحانه وتعالى كرم الابل وشرفها اذ قال كوني فكانت واخرج الناقة من صخرات وخص بها العرب دون غيرهم وكان صلعم يركبها لكون ان الله تعالى جعلها مباركة تقنع بما تجد وتصبر على الجهد والحمل الثقيل والسير الشديد وتصبر عن الماء وقد ذكرها ربنا في كتابه العزيز وعلى كل ضامر ياتين من كل فج عميق وقال الله تعالى والبدن جعلناها لكم من شعائر الله واول ما غزا من غزواته صلعم غزاة بدر فكان معه ماية ناضح من الابل وكان معه فرسان يركب احدهما المقداد بن الاسود الكندي والآخر مصعب بن عمر والتميمي وانا لقينا قريشا في عددها وعديدها فهزمهم الله تعالى ببركة رسول الله صلعم قال المقوقس او ما ركب الحمار قال ايها الملك كان يركب الحمار الذي اهديته له ويردف وراءه صاحبا له اسمه معاذ بن جبل وكان على الحمار اكاف من ليف وخطام من ليف واعلم يا ملك القبط انه

واستقروا بخيامهم امر عمرو ابن العاص باكابر من الصحابة ان يجتمعوا اليه فلما جلسوا بين يديه اقبل عليهم وقال يا اصحاب رسول الله صلعم اعلموا ان الله عزوجل قال في كتابه العزيز هل جزاء الاحسان الا الاحسان قال وكانوا الاكابر الذين اجتمعوا يزيد بن ابي سفيان وهاشم بن سعيد الطائي والقعقاع بن عمرو التميمي و خالد بن سعيد السهمي و عبد الله بن جعفر الطيار فقالوا وما ذلك قال اعلموا ان هذا الملك قد افرحه الله تعالى وكاتب ثلثا واذا امر ... بعث اليه هدية ونحن احق من كافأ ... اذا كان جالسا في جماعة واراد القيام يقول سبحانك اللهم و بحمدك اشهد ان لا اله الا انت استغفرك و اتوب اليك فقلنا يا رسول الله ان هذه كلمات احدثتهن عادة قال ... بهن جبريل عم واعلم ... انه حين قبض صلعم اخرجت لنا زوجته عايشة رض كساء وازارا غليظا وقالت قبض رسول الله صلعم في هذين فقال المقوقس هذه والله اخلاق الانبياء فطوبى لمن اتبعه وان امته هي الامة الموصوفة في الانجيل فقال القس ابشر ايها الملك ما تكون امة عند الله افضل من هذه الامة وهم نحن قال فغضب الملك من قوله و قال باي شيء انتم افضل عند الله باكلكم الحرام وارتكابكم الاثام وفعلكم المنكرات و تجنبكم الحسنات و ظلمكم للرعية و ميلكم الى الدنيا الدنية اين انتم من قوم عبر عليهم الاسكندر فراهم ليس فيهم قاض حاكم ولا امير بالامارة قايم ولا فيهم من يختص بالغناء عن اخيه ولا مزدر بالفقر الذي يشينه متساوين في كل ما هم فيه اكلهم واحد

بقي شربهم واحد غير متنافين ولا متضادين بل متحابين متواصلين
فتعجب الاسكندر مما راي وبصر واقبل على عقلاء منهم وسالهم
عما راي منهم ومن حالهم ونصت الى مقالهم فقالوا ايها الملك
السعيد انا وجدنا جمجمة وعليها مكتوب يا ابن ادم الهاك
املك حتى كانك خال من عملك فاعجلك اجلك فصرت الى التراب
الذي اذاه عليك الاحباب وخلوت بما قدمت اما صالحا فسرك واما
وكان غير صالح فندمت حيث لا ينفعك ندمك وتمنيت ان يكون لك
الى الدنيا مرجع لترجع عن الذي الهاك وتقلع فلم ترجع فطوبى
للكيس العاقل الذي ليس بوان ولا غافل تزود الى ما ليس له
تصيير قبل بكاك على التقصير وبادر الى الخير قبل الفوت واغتنم
حياتك قبل الموت فكانك بالحي قد هلك وفارق كلما ملك فاعتبرنا
ايها الملك بهذه المواعظ البالغة ولبسنا اثوابها السابغة فقال الاسكندر
ما بال مساجدكم شاسعة نائية وقبوركم قريبة دانية فقالوا (مساجدنا)
شاسعه ليكثر الاجر بتكثير الخطاء اليها ومقابرنا قريبة لنذكر الموت
فننتهي عن الخطاء فقال الاسكندر مالي ارى ابوابكم بلا اغلاق قالوا
لان ما فينا سراق قال فمالي لا ارى فيكم اميرا ولا حاكما قالوا لانا
لم نجد فينا متعديا ولا ظالما قال الاسكندر فمالي لا ارى فيكم فقيرا
قالوا لان رزق الله فينا بالسوية الصغير والكبير كثيرا ثم ابرزوا له
جمجمتين عظيمتين قديمتين فقالوا ايها الملك ايهما شئت فهذه
جمجمة رجل ظالم ورجل عادل وكلاهما سار الى هذا المصير ولم
يغنيهما الجمع الكثير اما العادل فمسرور قد كان واما الظالم

فنادم حيران فاز المتقي وحرم الشقي فاختبر ما تراه قبل الخبر ما بك للجحيين في الاثر ملكت ايها الملك النواصي و نفذ امرك على الداني والقاصي واستخلفك الله في الارض وامرك بالعقل و العرض فتذكر مرجعك ورمسك واعمل لنفسك واعلم انه لن ينفعك جندك اذا قبضت روحك واشتمل عليك الجندل فاترك اوامر الشيطان و دواعيه وخذ باوامر الرحمن و نواهيه ولا يستغرنك الشيطان الرجيم فتبوء بالاثم العظيم واذكر ايها الملك ما فعل الشيطان بابيك حين نصب له مكيدته و ادار عليه حيلته نصب له فخ العداوة و غره بحب البدة فقال قيس بن سعيد ايها الملك اتدري من اولائك قال لا قال هم قوم مومنون من قوم موسى ابن عمران وقد اخبر الله تعالى عنهم في القرآن العظيم اذ يقول عز من قايل ومن قوم موسى امة يهدون بالحق و به يعدلون وقد راهم رسول الله صلعم ليلة اسرى به الى السماء فلما عاد راجعا من معراجه خبرهم واخبرنا بذلك فقلنا يا رسول الله اقوم هذا يومنون بالخير قال نعم واراد الله ان يعلم امة محمد صلعم انهم افضل من اولائك قال الله تعالى في حقهم ومن خلقنا امة يهدون بالحق و به يعدلون فقال المقوقس لقيس بن سعيد يا اخا العرب ارجع الى اصحابك واخبرهم بما سمعت وابصر ما يستقر بيننا و بينكم فقال قيس ايها الملك اعلم انه لا بدلنا منكم وليس ينجيكم منا الا الاسلام اواداء الجزية او القتال قال المقوقس سوف اعرض على قومي ما ذكرت وانا اعلم انهم ما يجيبوني الى ذلك لان قلوبهم قد قست من اكل الحرام قال محمد بن اسحاق الاموي حدثني عبد الله

بن موسى اخبرنا على بن حاطب قال حدثنا سليمان بن يحيى قال كان المقوقس صاحب مصر والاسكندرية قد استحسن له منذ حمية في شهر رمضان العظيم فكان اذا دخل شهر رمضان يعتزل قومه ورعيته يطلب الخلوة في مكان قد جعله برسم ذلك فلا يظهر لاحد من ارباب دولته ولا يدخل عليه غير صاحب طعامه وشرابه وخادمه فاذ انسلخ شهر رمضان ظهر لهم وجلس على كرسي مملكته وكان مخاطبة الملك لقيس بن سعيد في اواخر شهر شعبان وقدوم رمضان فخرج قيس من عند الملك وسار الى عمرو بن العاص واخبره بما كان من حديث الملك قال ودخل شهر رمضان ودخل الملك الى دار خلوته الذي استحسنها في شهر رمضان وميله للاسلام ولا يختار مقاتلة العرب وجلس ولده ارسطوليس لانه كان ولي عهده قال ابن اسحاق فلما جلس ارسطولس على كرسي الملك وكان جبارا عنيدا وانه لما سمع ما تحدث به ابوه مع قيس بن سعيد علم ان ميل ابيه للاسلام وانه لا يقاتل العرب وربما يسلم اليهم ملكه فعند ذلك جمع اليه ارباب دولته واكابر القبط وقال لهم اعلموا انكم ملكتم هذا الملك من بعد الغرق يعني من بعد طوفان نوح عم واعلموا ان ابي يريد ان يسلمه الى العرب وذلك اني سمعت كلامه وما نطق به فعلمت ان كلامه مما يلي الى ذلك فقالوا ايها الملك اعلم ان الامر منوط بك وانت وليّ عهده وصاحب الامر من بعده فاصنع امرا يعود صلاحه عليك وعلينا وعلى رعيتك ثم خرجوا من عنده وابن الملك مصمم على هلاك ابيه قال صاحب الحديث فلما

دخل الملك دار خلوته التي استحسنها في شهر رمضان لنفسه وجلس ولده ارسطوليس على كرسي ملكه اقبل ارسطوليس على صاحب شراب ابيه واعطاه الف دينار وقرر له اقطاعا بزسمه وحلف له على ذلك ايمانا على انه يسقي لابيه سما فقبل الساقي ذلك وجعل في شراب الملك سما وسقاه فمات لوقته ثم اقبل الى ارسطوليس واخبره بموت ابيه فمضى اليه ووقف على مصرعه وبكائم امر خدامه ان يدفنوه بثياب ملكه فدفنوه ثم امر ارسطوليس بقتل الخدام والساقي فقتلوا جميعا قال وجلس ارسطوليس على سرير الملك كجاري عادته مع ابيه اذ غاب عن رويته ولبس عند احد من الناس خبر بان الملك قد مات قال صاحب الحديث هذا ما كان من امر الملك ارسطولس وما فعل بابيه واما ما كان من عمرو بن العاص فانه لما رجع قيس بن سعيد اليه واخبره بما كان من امر الملك المقوقس وحديثه فعزم عمرو على محاصرته ومحاربته ان لم يجبه الى ما دعاه اليه من الاسلام او اداء الجزية فارتحل بجيشه ونزل بموضع يعرف بقليوب واقام به وبعث رسله الى اهل الرستاق وطيب قلوبهم وقال لا يجفل منكم احد ولكم الامان ونحن نقنع بما توصلوه الينا من بركم فاجابوه الى ذلك وارتحل عمرو من قليوب وسار حتى نزل بحجر الحصا من نفس مصر فارتجت مصر لنزول العرب عليهم ووقع التشويش فيهم وعلا الضجيج وغلقوا الدكاكين ودربوا الدروب ووقف كل اهل درب على دربه بالعدة والسلاح ليحموا اموالهم وحريمهم قال ولما نزل عمرو بجيشه بحجر الحصا

[illegible] ان تخفوا حيل
عسكرهم [illegible] ذلك وقامت الحرب [illegible] من القرب
بالحرب والضرب واستظهر فريق عمرو [illegible] مقدمات لها
[illegible] رسولا ولا [illegible] عمرو ان يبعث الى عسكرها
رسولا وكان لعمرو غلام قد تعلم من الروم وكان يعرف بلغة القبط
فاقبل على عمرو وقال له يا مولاي قال لبيك قال انت تريد تعرف
لغة القبط وانا اعرفها فابعثني الى ملك مصر رسولا قال يا مولاي
انا [illegible] ولا [illegible] قال فلما عزم عمرو ان يبعث الى
ملك [illegible] ايصطوليس [illegible] مع غلامه وكان [illegible] رجل
من القبط [illegible] وهو يقول بلسان عربي فصيح
يا معاشر [illegible] عند الملك [illegible] ايصطوليس [illegible] ان
تبعثوا له رسولا من عندكم يخاطبه بما في نفسه لعل الله تعالى ان
يصلح الامر بينكم وبينه فاسرع رجل من العرب الى عمرو بن
العاص فاخبره بذلك فقال عمرو ليزيد بن ابي سفيان ولهاشم
بن سعيد الطائي ولعبد الله بن جعفر الطيار ولاكابر
الصحابة الذين كانوا معه حاضرين اعلموا اني قد استظهرت
على مخاطبة ملوك الروم ولست ارى من يسير الى هولاء
القبط الا غيري واريد النظر الى صاحبهم واخاطبه على قدر
ما يتكلم به وارى ما عنده ولعل ان لا يخفى علي شيء من امورهم
فقالوا ايها الامير قوى الله عزمك واتبع طريقك فنحن ما راينا
منك الا النصيحة للمسلمين والنظر في احوالهم بما يسرهم فان

رايت ان في مسيرك الى هولاء القوم صلاحا لك وللمسلمين فاعزم والله الموفق وانظر بما اراك الله عز وجل قال فاستدعى عمرو بشرحبيل بن حسنة كاتب وحي رسول الله صلعم وقلده امور المسلمين والجيش وقال له الزم مكاني حتى اسير الى هذا الملك وانظر ما عنده واتيكم باخباره واخبار قومه قال شرحبيل الله يرشدك ويسددك قال وان عمرو بن العاص لبس ثوبا من كرابيس الشام ومن تحته جبة من الصوف وتقلد سيفه وركب جواده وسار وغلامه وردان امامه يريد مصر وليس حولها سور يمنع ولا خندق ولكنها محصنة بالدروب فوجد الخيل والرجال على كل درب من دروبها فتقدم وردان وخاطبهم بلغتهم وقال ياقوم هذا رسول العرب اليكم فافسحوا له عن الطريق فقالوا انا لا ندع احدا يعبر الا بامر الملك قال فبينما وردان يخاطب القوم واذا برسول ارسطوليس قد اقبل وهو الذي كان قد اتى الى عمرو بالرسالة فامر صاحب الدرب ان يفتح له الطريق وان لا يمنع من العبور قالوا ففتحوا لعمرو وعبر وغلامه وردان ورسول الملك وساروا جميعا الى قصر الشمع واذا المواكب لمصطفة والحجاب واكابر الدولة قد تظاهروا بافخر الملبوس والدروع والجواشن والزرد النضيد واعمدة الحديد وبايديهم القسى الموتورة وقد اظهروا جند مصر ما امكنهم من الحشمة والسلاح وحسن الزينة قال فلما وصلوا الى باب القصر استاذن لهم الحاجب فاذن ارسطوليس لعمرو وغلامه وردان بالحضور فخرج الحجاب وامروا عمروا بالنزول

من جواده فنزل فلما اراد الدخول اراد والحجاب ان يزيلوا سيفه
من عنقه قال ما كنت بالذي ادخل الا بسيفي فان اراد صاحبكم
ان يزيل سيفي من عنقي رجعت من حيث اتيت وانا قوم
قد اعزنا الله بالاسلام ونصرنا بالايمان وايدنا بالسيوف وبها اذللنا
اهل الشرك والطغيان والآن فانتم طلبتمونا ولم نطلبكم قال فاخبروا
الحجاب الملك بمقالة عمرو بن العاص فقال دعوه يدخل كما
يريد فعند ذلك دخل عمرو وغلامه وردان فلما اقبل عمرو على الملك
ارسطوليس وهو جالس على سرير ملكه والحجاب بين يديه ومماليكه
عن يمينه وشماله قيام وايديهم على مقابض سيوفهم وعليهم اقبية
الديباج الملون وفي اوساطهم المناطق المرصعة بانواع فصوص
الجوهر وبايديهم اساورة الذهب فلما راي عمرو ذلك تبسم
ضاحكا ثم قرأ فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَمَا عِندَ اللَّهِ
خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ قال صاحب
الحديث وكان هذا القصر قد بناه اولاد الملك الريان بن الوليد
بن ارسلاوس الذي استخلف يوسف على مصر من بعد العزيز ثم
خرب واقام خرابا خمسماية عام حتي لم يبق منه الا اثره وتولى
من بعد ذلك فرعون ملك مصر وادّعى ما ادعى وبنا القصر واعاده
الى ما كان وبعث الله تعالى موسى [عم] واهلك على يديه فرعون
وخرب القصر فلم يزل خرابا حتى بعث الله تعالى عيسى [ع.] وانتشرت
دعوته وكان من امره ما كان ورفعه الله تعالى الي السماء وافترقت امته
فرقا وادعوا فيه ما ادعوا من تقول الكذب وولي مصر الملك

ارجاليس بن مرقاطيس فبنا القصر واعاده الى احسن ما كان وسماه بقصر الشمع لانه كان لا يخلو منه الشمع فلما بناه احضر الحكماء الذين كانوا في اخميم وكان كبيرهم قريانس فقال لهم الملك ارجاليس اعلموا اني قد قرات كثيرا من الكتب التي انزلت على الانبياء من الله تعالى فوجدت فيها ان الله عز وجل يبعث في اخر الزمان نبيا عربيا يكون قوله الصدق ودينه الحق اخلاقه طاهرة وشريعته ظاهرة قد بشر به ايضا المسيح عيسى بن مريم [عليهما السلام] فما تقولون ايها الحكما فيما قد ذكرت ثم قال قريانس الحكيم ان الذي قرات وقلت هو الصحيح الذي لا يبدل فقال لابد ان يكون ذلك وثم من يخالف وقالوا الحكماء بنعم يكون ذلك وثم من يخالف فقال الحكيم قريانس ايها الملك اريد ان اصنع تمثالا واضعه باطن قصرك ونجعل له من الحكمة رصدا ونجعل وجهه مما يلي كنيستك المعظمة ديرباليس (قال وكان الملك قد بنا له هذه الكنيسة وسماها ديرباليس يعني بيت العبادة) ونصنع ايضا تمثالا اخر ونضعه على هيكلها ويكون وجهه مما يلي التمثال الذي باطن قصرك فاذا كان وقت بعث هذا النبي العربي يحول كل تمثال وجهه عن صاحبه والتمثال الذي باطن الكنيسة اذا بعث هذا النبي يقع على وجهه واعلم ايها الملك ان هذا الموضع يكون موضع عبادة القوم الذي يتبعون هذا النبي وبه يكون اقامة شريعتهم قال فانعم لهم الملك بذلك فاخذوا الحكماء في عمل التماثيل على ما ذكرنا فلما بعث النبي حول كل تمثال وجهه عن صاحبه وسقط الذي كان باطن

الكنيسة على وجهه والكنيسة هي اليوم الجامع واما التمثال الذي كان
بباب القصر تحول وجهه عن صاحبه ولم يزل ثابتا في مكانه الى ان دخل
عمرو بن العاص قصر الشمع فسمعوا منه صوتا هائلا ثم سقط على
وجهه فارتاع له الملك وارباب دولته وارتجفت قلوبهم وقالوا للقبطية ما
وقع هذا التمثال عند دخول هذا الرجل الا لامر عظيم ولا شك هذا
الذي يقلع دولتنا ويملك بلادنا قال فلما دخل عمرو بن العاص على
الملك ونظر الى حشمه وارباب دولته وما هم فيه من الزينة الظاهرة
حيّا الملك وجلس بين يديه ووضع سيفه على ركبته ونظر الى
القصر واذا هو مزخرف بالذهب والفضة وهو مرصع بالفصوص
الملوّنة في سائر اركانه فقرأ قوله تعالى ولولا ان يكون الناس امة
واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج
عليها يظهرون ولبيوتهم ابوابا وسررا عليها يتكئون وزخرفا وان
كل ذلك لما متاع الحيوة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين ثم قال
انكم تحشرون حفاة عراة ثم قرأ كما بدأنا اول خلق نعيده وعدا علينا
انا كنا فاعلين والله لتسألن يوم القيامة عما كنتم تعملون فاتقوا الله
الذي اليه مصيركم واعلموا ان الدنيا دار زوال وفناء والآخرة هي دار
البقاء اما سمعتم ما كان عليه نبيكم عيسى عم من الزهد كان لباسه
الشعر ووساده الحجر وسراجه القمر ولقد سمعت نبينا محمدا صلعم يقول
ان الله عز وجل اوحى الى نبيه عيسى يقول يا عيسى نُح على نفسك
في الغفلات وعاتبها في الخلوات وسارع الى الصلوات واستعمل
الحسنات وتجنب السيئات وابك على نفسك بكاء من ودع الاهل والاولاد

واضع وحيدا في البلاد ولكن يقظانا اذا نامت العيون خوفا من امر
لا يدان يكون فاذا كان روح الله تعالى وكلمته خوف بهذا التخويف
فكيف يكون المكلف الضعيف واعلموا انه تكلم في المهد وقال انى
عبد الله فاذا كان قد اقر بالعبودية لله فكيف تعتقدون فيه الربوبية
وان الله عز وجل تنزه عن المشاركة وتفرد بالوحدانية وتعزز
بالالهية وقال عز من قائل مَا اتَّخَذَ اللهُ مِنْ وَلَدٍ وَلَا يُشْرِكُ فِي مُلْكِهِ
احدا احد عن الصاحبة والاولاد والشركة والاضداد ولا صاحبة له
ولا ولد ولا شريك له ولا وزير ليس لاوليته ابتداء ولا لآخريته انتهاء
لا يحويه مكان وهو في كل مكان من غير حلول ليس بجسم فيمس
ولا بجوهر فيحس ولا يوصف بالسكون والحركات ولا المنافع والمضرات
ثم قرا إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا لَقَدْ
أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا فقـــال الملك
ارسطوليس فصح الان عندكم يا هولاء العرب ان المسيح تكلم في المهد قال
عمرو بن العاص نعم قال الملك هذه فضيلة تفرد بها المسيح على جميع
الانبياء قال عمرو وقد تكلم غيره قال الملك ومن تكلم غيره قال عمرو
صاحب جريج وصاحب الاخدود قال الملك كيف كان ذلك قال عمرو كان
في بني اسرائيل رجل يقال له جريج وكان ذات يوم قايما يصلي في صومعته
فجاءته امه تدعوه اليها فقال يارب صلاتي وامي ثم اقبل على صلاته
ولم يجبها فمضت عنه فلما كان من اليوم الثاني اتته فدعته فقال
اى رب امي وصلاتي ثم اقبل على صلاته فانصرفت عنه فلما كان اليوم
الثالث اتته وهو قايم يصلي فدعته فقال اى رب امي وصلاتي ثم

اقبل على صلاته ولم يجبها فقالت امه اللهم لا تمته حتى ينظر الى
وجوه المشؤمات قال وتذاكروا بنوا اسرائيل جريج وعبادته وكانت في
ذلك الوقت في بني اسرائيل امراة بغي يتمثل بحسنها قالت ان
شئتم لافتننه لكم قال فتعرضت له بنفسها فلم يلتفت اليها فاتت
راعيا كان ياوي الى تحت صومعة جريج فامكنته من نفسها فوقع
عليها فحملت منه المراولدت قالت هو من جريج فاتوا اليه واستنزلوه
من صومعته وجعلوا يضربونه فقال ما شانكم قالوا زنيت بهذه
البغي فولدت منك غلاما فقال اتوني بالصبي فجاؤا به فقال اتركوه
حتى اصلي فتركوه فصلي ودعا فلما فرغ من صلاته ودعائه اقبل
على الصبي فوكزه بيده في بطنه وقال يا غلام من ابوك قال فلان
الراعي فاقبلوا بنوا اسرائيل علي جريج يقبلونه ويتباركون به وقالوا
ه نبني صومعتك من ذهب وفضة قال لا بل اعيدوها من الطين
كما كانت ففعلوا ذلك وايضا ايها الملك كانت في بني اسرابل أمراة
جالسة وفي حجرها صبي وهي ترضعه اذ مربها رجل راكب على
دابة حسن الوجه عظيم الهيبة فقالت ام الصبي اللهم اجعل ابني
مثل هذا فترك الصبي ثدي امه وقال اللهم لا تجعلني مثله ثم
اقبل على ثدي امه وجعل يرضع (قال ابو هريرة فكاني انظر الى
رسول الله وهو يحكي ارتضاعه باصبعه السبابة فى فمه وجعل
بمصه قال ومرت بام الصبي جارية ومعها اناس وهم يضربونها
ويقولون زنيت وسرقت وهي تقول حسبي الله ونعم الوكيل فقالت
م الصبي اللهم لا تجعل ابني مثلها فترك الصبي ثدي امه وقال

اللهم اجعلني مثلها فهنا ك قالت امه ابمر رجل حسن الهيئة فاقول
اللهم اجعل ابني مثله فتقول اللهم لا تجعلني مثله ومرت جارية
والناس يضربونها ويقولون سرقت زنيت فاقول اللهم لا تجعل
ابني مثلها فتقول اللهم اجعلني مثلها قال الصبي الرضيع نعم ان
ذلك الرجل كان جبارا فقلت اللهم لا تجعلني مثله وان الجارية لم
تزن ولم تسرق فقلت اللهم اجعلني مثلها قال ارسطوليس يا اخا
العرب انطق الله تعالى نبيكم بغير لسان العربية قال عمرو لا وقد
اخبر الله تعالى في كتابه العزيز اذ يقول عز من قائل وما ارسلنا من
رسول الا بلسان قومه ليبين لهم فيضل الله من يشاء ويهدي من
يشاء فقال الملك ارسطوليس ابعث الله نبيا عربيا غير نبيكم قال عمرو
نعم هود وصالح وشعيب ومحمد عليهم الصلوة والسلام فقال الوزير
الذي للملك وكان حكيما واسمه تيطس معناه بحر العلوم وكان
راهبا بدير العدس فلما ولى الملك ارسطوليس بن المقوقس مكان الملك
انزله من ديره وجعله وزيره وكان خبيرا بحكمة النجوم فقال لعمرو
بن العاص ما تقول في النجوم وتاثيرها فقال عمرو ان النجوم ليس
لها تاثير ولا حكم لانها مامورة مستخدمة لا حكم لها في امرها ولا
لغيرها ونحن لا بد لنا من معرفة المنازل لان القمر لا بد له من
منزلة يسير اليها وقد اخبرنا الله تعالى عن ذلك في كتابه العزيز اذ
يقول والقمر قدرناه منازل حتى عاد الاية والمنازل هي الابراج وهي
اثنا عشر برجا وهي حمل ثور جوزا سرطان اسد سنبلة ميزان عقرب
قوس جدى دلو حوت والكواكب سبعة وهي زحل مشترى مريخ

قمر شمس زهرة عطارد فمن قال بالقطع و التاثير فقد خرج من
ملتنا و شريعتنا و معنى القطع و التاثير فان النجم اذا قطع بالتاثير
لا بد ان ينزل الغيث فيكون غلاء او رخص فهذا علم ما خص الله
تعالى به احدا من خلقه الا ان النجم اذا كان مقاربا للنجم كان
ذلك احتراقا و انعكاسا فينال ايضا لصاحب ذلك النجم انعكاسا و قد
يجوز ذلك ولا يجوز و لهذا قال النبي صلعم من صدق كاهنا او منجما
فقد كفر بما جاء به ابو القاسم محمد و قال صلعم اذا نشات شامية يعني
سحابة فتلك غديقة يعني اذا اقبل السحاب من الشام الى المدينة
يكون المطر و كذلك البرق اذا كان من اليمن يقولون هذا برق خلّب
يعنون لا مطر فيه و لهذا قال النبي صلعم اصبح من الناس مومن
و كافر فمن قال برحمة الله مطرنا فهو مومن بالله كافر بالكواكب و
من قال بالكواكب الفلاني مطرنا فهو كافر بالله مومن بالكواكب
ثم قرا عمرو إِنَّ اللهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَ يُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَ يَعْلَمُ مَا فِي
الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ
أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ قال فلما سمع الوزير قيطس كلام عمرو
و راى ما من فصاحته قال بالقبطية للملك ايها الملك ان هذا البدوى
فصيح اللسان جرى الجنان و قد حزرت انه مقدم العرب و صاحب
الجيش النازل علينا و لو قبضت عليه انهزموا اصحابه و مضوا عنا
قال و غلام عمرو وردان يسمع ما يقول الوزير للملك فقال الملك
للوزير انه لا يجوز ذلك ولا ينبغي لنا ان نغدر برسول ولا سيما و
نحن استدعيناه قال فعند ذلك قال وردان لعمرو مالى اراك نزعا

ا تظن ان الملك ارسطوليس يريد قبضك وانت في امانه انه لا يفعل
ذلك قال فلما سمع عمرو كلام غلامه وردان علم ان وردان عرف انه
يحذره فايقظ عمرو خاطره واخذ حذره فقال الملك ارسطوليس يا
اخا العرب ما الذي تريدون منا حتى اقبلتم الينا ونزلتم بارضنا و
نحن اولوا قوة وباس شديد وما قصدنا احد من الملوك الا رجع
بالخيبة وعساكر النوبة والحجاز تمصرنا وقد وجهت اليهم وكاتبت
بهم وقد اقبلوا نحونا قال عمرو انا قوم لا نخوف بالجيوش وكثرتها
ولا تخوفونا بها لان الله سبحانه وتعالى وعدنا بالنصر على لسان
نبينا محمد وبذلك انزل الله عز وجل في كتابه العزيز اذ يقول عز من
قايل ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادي
الصالحون ونحن ندعوكم الي شهادة ان لا اله الا الله وحده لا شريك
له وان محمدا عبده ورسوله فان ابيتم ذلك وغلبت عليكم الشقوة
فتودون الجزية وانتم صاغرون فان ابيتم فاذنوا بحرب من الله قال
فلما سمع الملك ذلك من عمرو قال يا اخا العرب اعلم انما لا يمكننا
ان نعمل شيئا الا براي الملك المقوقس والان فانه في خلوته التي
استسنها لنفسه في شهر رمضان فاذا انسلخ الشهر وخرج الملك
يعمل برايه ولكن يا اخا العرب ما اظن في اصحابك احد مثلك ولا
اجرى منك لسانا واثبت مكانا واحد جنانا فقال عمرو انا اكل لسانا
من اصحابي ومنهم من لو كلمته لعلمت اني لا اقاس به قال من المحال
ان يكون في اصحابك مثلك قال بلي ايها الملك ولو اردت احضرت
لك منهم عشرة رجال لتعلم صحة ذلك فقال الملك افعل ثم قال لوزيرا

بالقبطية اذا اردنا بالقبض على الرجل فالقبض على العشرة اولى ثم
قال لعمرو وابعث اليهم ليحضروا فقال ايها الملك انهم لاياذنون
برسول فان اردت مضيت اليهم واتيت بهم فقال الملك افعل فوثب
عمرو قايما وخرج مبادرا وركب جواده وهو لا يصدق بالنجاة
وسار وغلامه وردان بين يديه حتى خرجوا من مصر قال ولما خرج
عمرو وغلامه قال الملك لوزيره وحق ديني لان اتى بهم لاقتلنهم
جميعا قال ولما خرج عمرو وغلامه وردان عرّفه غلامه وردان بما
سمع من الوزير وهو يقول للملك من جهة القبض عليه فقال عمرو
والله لا عدت الى مثلها والله يا وردان لاكافينك بها فما جزاء
الاحسان الا الاحسان وسارا حتى وصلوا الى عسكرهم فلما راوهم
المسلمون قد اقبلوا سارعوا الى ملتقاء الامير عمرو وسلموا عليه
وهنوه بالسلامة وقالوا ايها الامير لقد ساءت الظنون بك حيث
ابطيت فاقبل يحدثهم بما جرى له مع الملك وكيف اراد القبض
عليه واعلمه بذلك غلامه وردان وانه ما خلّص نفسه لولا تضمن
له ان ياتيه بعشرة رجال من اصحابه فتعجبوا الصحابة من ذلك
وشكروا الله تعالى على سلامته وخلاصه من يد القبط وباتوا
تلك الليلة فلما اصبح الصباح صلّى عمرو بالمسلمين صلاة الصبح
فلما فرغ من صلاته امر المسلمين باخذ الاهبة والركوب الى
الحرب واذا برسول الملك ارسطوليس قد وقف على شفير الخندق
وقال يا معاشر العرب ان الملك ارسطوليس ينتظر رسولكم
والعشرة من اصحابه واخبروا عمرا بذلك فاقبل عمرو اليه وقال

يا هذا ان القدر يهلك صاحبه ذهل انباني للدور الدوائر يا ويلك سفل صاحبك يطلب رسولا منا فلما اتيته اراد ان يقبض علي وتكلم بكذا وكذا يا ويلك من الذي يحميك منا اذا اردنا قتلك ولكننا لسنا نفعل ذلك لاننا نوفي بالوعد ولا ننقض العهد ارجع الى صاحبك وقل له اني سمعت ما تكلم به هو ووزيره من جهة القبض علي وقد نجاني الله تعالى من كيده وما كنت بالذي ارجع اليه ابدا قال صاحب الحديث هكذا جرى لعمرو بن العاص مع الملك ارسطوليس بن المقوقس صاحب مصر وكان عمرو بعد ذلك اذا حضره امر واراد ان يحلف يقول لا والذي نجاني من صاحب القبط قال وان الرسول رجع الى صاحبه ارسطوليس وحدثه بما قال عمرو فعلم الملك انه فطن به حين القي اليه الوزير ذلك ثم قال الملك لوزيره من اين لهذا ان يحفظ لغتنا وهو بدوي فقال الوزير ان الذي كان معه يحفظ لغتنا فيذره منا فقال الملك للوزير ما الذي ترى من الراي في هؤلاء العرب وان القوم مستيقظين لانفسهم فلا يصل اليهم احد بمكر ولا بخداع فقال الوزير قيطس انه قد بلغني ان للقوم يوما يعظمونه في الجمعة وهو يوم الجمعة كما نعظم نحن يوم الاحد وارى لك من الراي ان تكمن لهم كمينا مما يلي الجبل المقطم فاذا اخذوا القوم في صلاتهم يخرج الكمين عليهم ويضع السيف فيهم فلا ينج منهم احد قال فاستصوب الملك رايه واقام ينتظر الجمعة ليكمن لهم الكمين كما ذكر الوزير قال وان الامير عمرو بن العاص لما تخلص من يد ملك القبط ذلك اليوم واصبح في اليوم

الثاني دعا بعبد لله يوقنا و قال له يا عبد الله اعلم ان هولاء القوم قد اخّروا القتال ونحن مقيمين ولحربهم منتظرين وليس عندنا من الزاد والعلوفة ما يكفينا ويكفى دوابّنا فامض في معسكرك وبني عمّك الى القرى واشترلنا زادا وعلوفة لدوابنا ما يكفينا لنا ولدوابنا هذه الايام قال يوقنا سمعا وطاعة ثم ركب في بني عمّه وعسكره وهم يومئذ اربعة الاف فارس واخذ معه الموالى والعبيد والبغال والحمير وساروا جميعا يطلبون الحوف قال صاحب الحديث وكان قد اختلط بالمسلمين اقوام من جواسيس القبط وسمعوا ما تحدثوا به المسلمون وما قد عزموا عليه من مسيرهم الى الحوف بسبب الميرة فرجعوا الجواسيس الى الملك ارسطوليس واخبروه بذلك ففرح واقام ينتظر الجمعة فلما كان يوم الخميس دعا ارسطوليس بابن عمّه له اسمه ماسيوس وكان مقدّم جيشه فجرّد معه من جيش مصر اربعة الاف فارس على عدد اصحاب يوقنا وامره ان ياخذ معه بغالا ودوابّا عليها احمالا وزادا وعلوفة ايضا لتخيلهم لان لا ينكر احد عليهم اذا راوهم وامره ان يسير تحت الليل بعسكره ويكمن بهم من ورا الجبل المقطم وان يجعل له ايضا ديدبان ينظر الى المسلمين فاذا دخلوا في صلاتهم اخبروكم بهم فاخرجوا عليهم والدواب والبغال بين ايديكم لئلا ينكر احد منهم عليكم اذا انتم خرجتم واقبلتم اليهم قال فسار ماسيوس تحت الليل بمعسكره الى ورا الجبل المقطم واكمن هناك ودبر امره كما امره الملك واقام له ديدبانا من نحو مغارة السودان قال صاحب الحديث

حدثنا عمار بن وهب قال اخبرنا سعيد بن عامر عن سليمان بن نائل عن عروة عن جابر ينقل الحديث عن ابن اسحاق الاموي قال فكان دبر ملك القبط ارسطوليس على المسلمين وعسكر الكفرين من ناحية الحمرا الى تل النور وهو اليوم مسجد موسى وبقوا من وراء الجبل المقطم وليس بين الجبل وحجر الحصاة الا دون نصف ميل قال وباتوا القوم في كمينهم وليس عند المسلمين خبر من ذلك فلما اصبح صباح الجمعة وارتفع النهار واتسع وقرب وقت الصلاة جمعوا المسلمون رحال دوابهم وجمالهم وجعلوا بعضها على بعض لاجل الخطبة واجتمعوا الناس للصلاة وليس عندهم خبر بما دبر عليهم عدوهم قال ولما اجتمعوا المسلمون لصلاة الجمعة جعل عمرو يحدث الناس بما يكون من امر قتالهم لعدوهم ويرغبهم في الجهاد الى ان اذن موذن المسلمين فلما فرغ الاذان صعد عمرو على تلك الرحال وخطب خطبة بليغة وذكر فيها فضل الجهاد وما اعد الله عز وجل للمجاهدين من الاجر والثواب وتلا في اخر خطبته يا ايها الذين امنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم تومنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون ثم ذكر من بعد ذلك فضل الجهاد وفضل رمضان وما اعد الله تعالى فيه من الاجر والحسنات قال صاحب الحديث حدثني سليمان بن ثابت عن جده شداد بن اوس قال بينما نحن قد اجتمعنا للصلاة في يوم الجمعة وعمرو يحدثنا بما يكون من امرنا لقتالنا لعدونا ويذكر لنا فضل الجهاد ويرغبنا

فيه فقلنا ايها الامير ما الذي يقعدك عن قتال عدونا فقال والله
ما تاخرت عن قتالهم لجزع منهم ولا لخوف لكن قد علمتم بقصة
هذا الملك المقوقس وما هو عليه من حصانة العقل وهو مقر بنبوة
نبينا وهو الان في خلوته التي استسنها لنفسه فى الشهر المبارك
وقد بقي من شهر رمضان خمسة ايام ويظهر من خلوته ويجلس
على سرير ملكه ثم نبعث اليه رسولاً منا لنرى ما يكون من جوابه
فاما صلح واما قتال قال شداد بن اوس بينما نحن نسمع مايقول
اذا اقبل رسول اللعين ارسطوليس ووقف على شفير الخندق
واستاذن للدخول فاذن له عمرو بالدخول اليه فدار من حيث
الارض المستوية (لان الخندق كان من ناحية مصر ودروبها)
مما يلى الجبل المقطم فلما دخل الرسول وقف بين يديه عمرو
وسلم عليه وقال يا امير العرب ان ولي عهد الملك يسلم عليك
ويقول لك انه لا يقدر ان يحدث امرا من صلح ولا قتال الا بامر
الملك وهو كما علمت فى خلوته وقد بقي له خمسة ايام ويجلس
على سرير ملكه ويدير رعيته بما يريد قال عمرو قد فعلنا ذلك
ولولا الملك وما نعلم من يقينه وانه مقر لنبينا بالرسالة لما
امهلناكم طرفة عين والسلام قال ومضى الرسول قال صاحب
الحديث وان اللعين ارسطوليس ما بعث الرسول في ذلك الوقت
الا ليطيب به قلوب المسلمين ويطمينوا اليه ليقضي الله امرا
كان مفعولا قال شداد بن اوس فلما رجع الرسول فاذن المؤذن
وخطب عمرو خطبته وحذر فيها من النار ورغب فى الجهاد

وشرق الى الجنة فلما فرغ من خطبته فاقاموا الصلاة ، تقدم عمرو
الصلاة وكانوا العرب قد امروا مواليهم ان يرقبوا نحو مصر مخافة
من العدو ان يكبسهم فى صلاتهم قال شداد بن اوس ونحن لا
نري احدا من اهل مصر بظاهرلنا لا فارسا ولا راجلا فاخذنا صفوفنا
واستوينا خلف عمرو للصلوة وليس يبان لنا عدو نخافه فلما ام
عمرو بنا وعقدنا النية خلفه وقرأ عمرو وركع الاولة وركعنا الركوعه
تبعاله وارصينا بالسجود اذ اشرفت البغال والدواب وعلى ظهورها
الاحمال والعسكر من ورايهم وهم اهل الكمين الذي كمنه عبد
الله ارسطوليس وهم على عدد اصحاب يوقنا كما ذكرنا اربعة الاف
فارس فلما نظروا اليهم موالينا ظنوا انهم اصحابنا قد اقبلوا بالعلوفة
ففرحوا بذلك وقالوا جاء يوقنا واصحابه قال ولم يزالوا سايرين
حتى وصلوا بالقرب منا من جهة الارض المستوية واطبقوا علينا
ونحن فى الصلوة ووضعوا لسيف فينا ونحن ساجدون فى الركعة
الثانية بين يدي الله تعالى والسيف يقطع فى لحوم المسلمين
قال شداد بن اوس وما احد من المسلمين قام من سجوده ولا
فارق الصلاة وكانت قوة الحملة على اخر الصف والذي يليه وكانوا
قوما من اليمن ومن بجيلة وفيهم اناس من وادي القرى ومن
الطايف ومن وادي النخلة قال عباد بن عتبة فهلكوا جميعا بسيوف
القبط وايقنا بالهلاك وما فينا من احرف وجهه عن الصلاة اذ
اقبل عبد الله يوقنا واصحابه بالميرة فنظروا نحونا فراوا السيوف
تلمع فانكر يوقنا امرنا ورمي ماكان على راسه وصاح فى اصحابه

و بني عمه وقال و الله قد دهوا اصحابنا الا و من قصر منكم عن
جهاد عدوه و لم يبذل نفسه في سبيل الله طولب يوم القيامة الا
و ان اعداء الله قد غدروا باصحابنا د وروا من حولهم و ضيقوا عليهم
و ضعوا السيوف فيهم و احذروا ان يفلت منهم احد قال
و حمل يوقنا و اصحابه على اعداء الله و احاطوا بهم فاما نظروا
القبط الى من دهمهم من المسلمين رفعوا السيف عن المصلين
و استقبلوا يوقنا و اصحابه قال و فرغ عمرو من صلاته و بادر
الى جواده وركبوا المسلمون خيولهم و حملوا على اعداء الله حملة
عظيمة و احاطوا بهم و حالوا بينهم و بين مصر و ضعوا فيهم السيوف
فو الله مانجا منهم احد و كانهم كانوا طيورا و قد وقعوا في شبكة
صيادها فتركوهم صرعى على الصعيد فما نجا مخبرو قتل ابن عم
الملك ماسيوس قال و لما وضعت الحرب هنا المسلمون بعضهم بعضا
بالسلامة وشكروا الله تعالى على ما اولاهم من نصره و اثنوا على يوقنا
و اصحابه خيرا و حازوا خيول القبط وسلاحهم و اسلابهم و البغال
والحمير الذي اتوا بها محملة و غنموا غنيمة عظيمة قال و افتقدوا
من قتل منهم واذا هم اربعماية و ستة و ثلاثون رجلا ختم الله لهم
بالشهادة فكان الاعيان منهم حمزة بن سالم اليشكري و ربيعة
بن صابر السهمي و المسيب بن خويلد اليشكري و نسيب بن غالب
اليشكري و نصر اليشكري وسابق بن مزيد العجلي و مزيد بن
سعيد اليشكري و خزام بن عمرو العجلي و قيس بن ماجد
التنوخي و طلحة بن ثابت المخزومي و نصر بن الاخيل مولى ابن

عياض بن غانم الطائى وكان فارس الخيل ، و نصر بن عبد مناة السلمى ابن عم ابى بكر الصديق وكامل بن معبد بن حازم التجيبي و مقدام بن سارية التجيبي وسعد بن مرشد الحضرمي و رفاعة بن مسروق اللخمي وجعفر بن داينة باسم امه يعرف وهذه احلى بني عامر بن صعصعة و عروة بن شامل الثقفي ومعمر بن طاعن الزبيدى العامري وعابس بن سمرة العامري ورافع بن سهل العامري وعبد الله بن خامر الكلابي ومالك بن نقيط العامرى و المكرم بن غالب العامري ومعمر بن خايفة الدارى وماجد بن مرة الخزرجي ودهمان بن عوض بن مسلم العجلي وطارق بن معن السلمى ولبابة بن طاعن العبسي وهياج بن عمرو التميمي و سالم بن مفرح التميمي و الاحوص بن يربوع التميمي وياسر بن مفرج الهمداني وهلال بن خويلد العطفاني والهجام بن عنيبة العطفاني وطوق بن حبيب الكلبي الجملة ستون رجلا من الاعيان ختم الله لهم بالشهادة و صلى عليهم عمرو بن العاص بجماعة المسلمين و دفنهم هناك فى مواضعهم قبلة من حجر الحصا وشرقا منه وقبورهم معروفة هناك الى يوم القيامة قال صاحب الحديث واتصل الخبر الى الملك ارسطوليس بقتل ابن عمه والاربعة الاف فارس فصعب ذلك عليه وايقن بزوال ملكه ودعا ببطارقته واكابر دولته و شاورهم فى امره فقالوا ايها الملك انك تعلم ان الدنيا ما دامت لاحد ممن كان قبلك حتى تدوم عليك وما زالت الملوك تنكسر ثم تعود وما انت باول من انهزم من ملوك الارض ولقد سمعنا ان الدار يوس بن ازديش

بن هرمز بن كيغان بن بردجرد † الفرسي هزمه الاسكندر الرومي
سبعين مرة فاخرج بنا الى لقاء هولاء القوم واضرب معهم مصافا
ولا تايس من النصر فان المسيح ينصرك وهولا القسوس و
الرهبان والشمامسة والمطران يدعوا لك بالنصر قال فعمل الملك
مشورة اصحابه واكابره وحجابه وفتح خزاينه اليه ونفق في الجند
وفرق السلاح وامرهم بالخروج الى لقاء العرب فخرجوا القبط
وضربت خيامهم ومضاربهم وتاهبو لحرب عدوهم وكتب ارسطوليس
الكتب وسيرها الى ملك النوبة وملك البجاة يسالهم النجدة
واقام ينتظر قدوم النجدة قال محمد بن اسحاق حدثنا عقبة
بن صفوان عن عمرو بن عبد الرحمن بن حبيب عن ابيه قال
لما كان من امر المسلمين ما ذكرنا من الامر المعدر عليهم من
كبسة العدو وكتب عمرو بن العاص كتابا الى امير المومنين عمر
بن الخطاب يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم والعاقبة للمتقين
من عمرو بن العاص بن وايل السهمي الى امير المومنين عمر بن
الخطاب سلام عليك فاني احمد الله الذي لا اله الا هو واصلي على
نبيه اما بعد فاني وصلت الى مصر سالما وجرى لنا على بلد
بلبيس مع ابنة الملك المقوقس كذا وكذا ونصرت عليهم ودخلت
منها الى مصر ونزلت بحجر الحصا وخندقنا حولها خندقا وصالحت
اهل القرى والاطراف وهي ارض يقال لها الحوف ليعينونا ويمدونا
بالزاد والعلوفة ويجلبوا لنا من خيرات بلادهم وانا اعوزنا شياً

† الغالب ان يكون – اردشير بن هرمز بن كيقباد بن يزدجرد

من المؤنة والعلوفة فبعثنا بوقنا وبني عمه وجندة الى تلك القرى ليشتروا لنا منهم طعاما وبعث انا رسولا بنفسي الى ملك القبط ارسطوليس بن المقوقس فكلمني وجاوبته وهم بالقرب منا فنجاني الله تعالى وكمن لنا كمينا واشغلنا برسول اتى منه مكرا وخديعة فلما كان يوم الجمعة واصطفينا للصلاة واخذنا في صلاتنا وركعنا وسجدنا فلم نشعر الا والخيل كبستنا ونحن في السجود وبذلوا فينا القبط السيوف ونحن مقبلون على ربنا في صلاتنا فقتلوا منا اربعمائة رجل وستة وثلاثين رجلا وما فينا من اولى من صلاته وان الله عز وجل انجدنا بفضل منه في تلك الساعة بيوقنا وجنده واقبلوا علينا والسيوف تعمل فينا فصاح يوقنا في خيله وحمل على القبط واحاط بهم فرفعوا السيف عنا واشتغلوا بيوقنا فبذل فيهم السيف بقتال القبط جميعا فلم ينج منهم احد من سيفه وسيف جنده وقتل مقدم القوم ماهيوس وهو ابن عم الملك ارسطوليس وغنمنا الله تعالى خيلهم وسلاحهم واسلابهم وما كان معهم من مال ودواب وبغال ونحن الان يا امير المؤمنين في بحر يتلاطم امواجه من كثرة العدو وانجدنا يا امير المؤمنين وادركنا بعسكر من المسلمين ليعيننا على قتال المشركين والسلام عليك وعلى جميع المسلمين ورحمة الله وبركاته * وطوى الكتاب وختمه وسلمه الى عبد الله بن قرط الازدي وامره بالمسير الى امير المؤمنين عمر فركب عبد الله بن قرط مطيته وسار يجد السير ليلا ونهارا حتى ورد مدينة يثرب فاناخ مطيته على باب المسجد وعقلها بفاضل زمامها

ودخل المسجد وحياه بركعتين واقبل الى قبر رسول الله صلى الله عليه
وسلم ليسلم عليه واذا امير المومنين عمر عند القبر الشريف قال عبد الله
فسلمت على قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اقبلت على عمر
وسلمت عليه فرد على السلام ونظر الى طويلا فحققني فلما عرفني
قال عبد الله قلت نعم يا امير المومنين قال مرحبا بك فقبلت يده
وسلمت الكتاب اليه فقال من اين اتيت يا عبد الله قلت يا امير
المومنين من مصر من عند عاملك عمرو بن العاص قال مرحبا بك يا
ابن قرط ثم فض الكتاب وقراه فلما اتي على اخره قال لا حول ولا
قوة الا بالله العلي العظيم ثم قال من ترك الحزم ورا ظهره تباعدت
عنه فسيحات الخطاء والله ما علمت عمرا الاحازم الراى مليح التدبير
ضابطا لامره حسن السياسة ولكن اذا اتي القدر عمى البصر ثم
كتب من ساعته كتابا الى امير جيوش المسلمين بالشام ابي عبيدة
عامر بن الجراح وذكر له فى الكتاب ما جرى لعمرو بن العاص وامره
ان ينفذ له جيشا عرمرما ثم نفذ الكتاب مع سالم مولى ابي عبيدة
قال عبد الله بن قرط واقمت فى المدينة يومين واستاذنت عمر
فى المسير فزودني من بيت مال المسلمين وكتب كتابا الى عمرو
بن العاص يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم من عمر بن الخطاب الى
عمرو بن العاص سلام عليك فاني احمد الله الذي لا اله الا هو
واصلي على نبيه وقد وصلني كتابك وقراته وعلمت ما جرى عليكم
من عدوكم وعذرا لكم فذلك لما سبق فى ام الكتاب وكان يجب عليك
يا ابن العاص الا تطمئن الى عدوك ولا تسمع له كلاما وما اعرفك

يا ابن العاص الا حسن الراي والتدبير ولكن ليقضي الله امرا كان مفعولا فاستعمل النشاط في امرك ولا تتوان في مصالح المسلمين واعلم ان كل راع مسئول عن رعيته فدبر امرك ولا تامن عدوك واستعمل الحذر فان امامك والله ما بات الا على حذر ولا كذب خبرا والله يعيننا واياك على طاعته وقد بعثت الى امين الامة ابي عبيدة عامر بن الجراح ليسير اليك جيشا والسلام عليك وعلى من معك من المسلمين ورحمة الله وبركاته * وطوي الكتاب وختمه وسلمه الى عبد الله بن قرط وامره بالمسير قال عبد الله فاخذت الكتاب وركبت مطيتي وسرت اجد السير ليلا ونهارا فكنت بعد عشرة ايام بمصر فاقبلت الى الامير عمرو بن العاص وسلمت عليه وناولته كتاب امير المومنين عمر بن الخطاب ففضه وقراه سرا وفرح به ثم قراه جهرا على المسلمين ففرحوا المسلمون بما في الكتاب من ذكر النجدة واقام عمرو بن العاص ينتظر قدوم النجدة من عند ابي عبيدة قال صاحب الحديث حدثني سهل بن عبد الوراق قراة عليه بعمواس قال لما كبس جيش ارسطوليس لعسكر المسلمين وهم في صلاتهم يوم الجمعة ورجعت دايرة السوء على الكافرين وقتل ماسورس بن عم الملك ارسطوليس وقتل جملة الاربعة الاف فارس ولم ينج منهم احد وهلكوا عن اخرهم غضب الملك وحلف يمينا بما يعتقده من دينه لابد ان ياخذ بثاره من المسلمين فامر حجابه ان يجمعوا امراءه واكابر دولته عظماء بطارقته الى الكنيسة المعلقة في قصر الشمع قال ففعلوا ذلك جمعوهم الى الكنيسة ونصبوا للملك كرسيا فجلس عليه

ثم قام فيهم خطيبا وقال يا اهل دين النصرانية وبني ماء المعمودية اعلموا ان ملككم ملك عظيم وبلدكم بلد عظيم وهو بلد الفراعنة (وهي دار ملكها) الملوك الاكابر من قبلكم من آل حمير مثل منيسغان والبيستق والجلجان وهو باني هذه الاهرام ومرثد بن عيذان وشداد بن عاد ولقمان بن عاد وشديد بن عاد وذو القرنين وهو الملك العضيب وانقضى ملكهم منها ومضا زمانهم ورجع الملك الى غيرهم من ارض سبا وبلاد اليمن وحضرموت وقصر عمران ثم تولى ملك هذه الارض القبط من ابائكم واجدادكم اسطليس وبيلموس وتريان بن الوليد الذي استخلف بيوسف ثم الوليد الثاني وهو افيطيس المكني بفرعون الذي اهلكه الله تعالى على يد موسى بن عمران ثم طيماوس ثم جدي راغيل ثم ابي المقوقس وما احد ممن ملك الارض الا ويحسدنا على ملك مصر وهولاء العرب طماعة وقد طمعوا فينا واتوا الينا يريدون يملكون بلادنا ويخرجونا من ارضنا كما طمعوا في ملك الشام وانتزعوه من ايدي القياصرة وقتلوا ابطالهم ونهبوا اموالهم واستعبدوا حريمهم واولادهم فان انتم فشلتم عن قتالهم طمعوا فيكم وقتلوا ابطالكم ونهبوا اموالكم واستعبدوا حريمكم واولادكم وسكنوا قصوركم ودياركم وجعلوا بيعكم لهم جوامع والان فان الملك المقوقس قد امرني بقتال هولاء العرب وقال انه لا يظهر من خلوته حتى يرى مايكون من امركم وامرهم فما قولكم وما الذي اجتمع عليه رايكم قالوا ايها الملك اما نحن عبيد هذه الدولة لانها استعبدت رقابنا بفضلها نعمتها علينا دايمة والان نحن

نقاتل عنها الحبشة ايامًا فلعل ان يرزقنا المسيح النصر على عدونا
او نموت على سيف واحد قال فشكرهم الملك اولهم وخلع عليهم
وقال اخرجوا الان واضربوا خيامكم ومضاربكم ظاهر المدينة
وطاولوا القوم بالمبارزة الى ان تاتينا النجدة من النوبة ومن ملك
البجاه فقالوا نعم ما قلت ايها الملك ثم خرجوا من عنده وامروا غلمانهم
ان يخرجوا خيامهم والسرادقات ويضربوها مقابلي تل النور
والرصد ففعلوا ذلك قال محمد بن اسحاق الاموي وفي يومهم ذلك
الذي خرجوا فيه جاء الرسل الذين بعثهم الملك ارسطوليس الى
النوبة والى ملك البجاة في طلب النجدة واخبروا بانه وقع بين
النوبة والبجاة واختلفوا وان احد منهم لا يبعث للملك ارسطوليس
نجدة فصعب ذلك على الملك وضربت القبط خيامها. ونشروا راياتها
حول سرادق الملك قال فلما نظروا المسلمون الى القبط وقد خرجوا
وضربوا خيامهم وسرادقاتهم اخذوا على انفسهم وتاهبوا للقتال عليهم
وايقظوا انفسهم واقاموا لهم الحراس بالنوبة خوفا وحذرا من غدر
القوم وان يتم لهم عليهم كما تم في النوبة الاولة من الكبسة قال فاول
من تولى الحرس كان الامير عمرو بن العاص اول ليلة بنفسه في
جماعة من مسلمين وجعل يطوف حول الجيش الى اخر الليل قال
ولم يزالوا المسلمون على ذلك وهم محترزون ومن عدوهم حذرون
والانوار يتلالا على عسكرهم واصواتهم عالية بالتهليل والتكبير
والصلاة على البشير النذير ليلهم ونهارهم بالنوبة قال صاحب
الحديث هذا ما كان من القبط وعسكر المسلمين قال ووصل كتاب

امير المومنين عمر بن الخطاب الي ابي عبيدة ففضه و قراه وفهم ما فيه فعند ذلك اقبل على خالد بن الوليد وقال يا ابا سليمان ما تري من الراي هذا كتاب امير المومنين عمر قد وصل الي يامرني ان انجد عمرو بن العاص بعسكر عرمرم قال خالد اذا كان امير المومنين قد امرك بان تنجد عمرو بن العاص فانجده فقال ابو عبيدة يا ابا سليمان اعلم ان طريق مصر شاق بعيد و معطش فان انا بعثت جيشا عرمرما خفت عليه الهلاك قال خالد وكم عزمت ايها الامير ان تبعث قال ابو عبيدة ابعث اربعة الاف فارس فقال خالد ان عزمت على ذلك فابعث اربعة من المسلمين فهم مقام الاربعة الاف فارس فقال ابو عبيدة من الاربعة يا ابا سليمان قال خالد انا احدهم و المقداد بن الاسود الكندي والعامر بن ياسر الكندي و مالك الاشتر النخعي قال فلما سمع ابو عبيدة ذلك من خالد تهلل وجهه فرحا و قال يا ابا سليمان افعل ما تراه من رايك فان رايك مبارك قال فدعا هم خالد واعلمهم بما قد عزم عليه فقالوا سمعا و طاعة لله و لرسوله قال خالد فخذوا اهبتكم وتهبوا للمسير قال فلما انقضي النهار واقبل الليل وصلي ابو عبيدة صلاة المغرب بالمسلمين فاقبلوا الثلاثة الى خالد واذا هو ايضا قد اخذ اهبته وهو واقف على باب قبته فركب خالد وساروا جميعا الى خيمة ابي عبيدة فخرج اليهم و سلم عليهم و ودعوه و خذوا معهم دليلا يدل بهم على طريق الشوبك و وادي موسى وساروا يريدون مصر ولم يزالوا يجدون السير حتى قربوا من عقبة ايلا واذا هم بخيل

ومطايا تزيد على الف فارس وراكب مطايا فاسرع اليهم خالد
ورفاقه وسلموا عليهم فردوا عليهم السلام فسألهم خالد عن امرهم
ومسيرهم ومن اين والى اين فاخبروهم انهم من ثقيف وطي
ومرداس وقال وجههم عمر بن الخطاب الى مصر مع رفاعة بن قيس
وبشار بن عوف نجدة لعمرو بن العاص ففرح خالد بهم وشكرالهم
فعلهم وفرحت القوم ايضا بخالد ورفقه فساروا جميعا وخالد ايضا
يحدثهم بانهم ايضا سائرين نجدة لعمرو بن العاص فعز العرب
بخالد واستبركوا بطريقهم قال صاحب الحديث حدثني يوسف بن
يحيى قال اخبرنا دارم بن عدي قال وحدثني نصر بن ثابت قال
كنت في جملة الوفد الذي وجهه امير المومنين عمر بن الخطاب
مع رفاعة بن قيس وبشار بن عوف والتقينا خالد واصحابه على
عقبة ايلا وسرنا جميعا نريد مصر فلما قربنا منها وبقي بيننا
وبينها يومان فبينما نحن نسير ذات ليلة وكانت ليلة مظلمة
لا يكاد الرجل ينظر كفه ولا يتبين صاحبه من شدة الظلام اذ سمعنا
حسا وهو بعيد منا فوقفنا نسمع الى الحس قال نصر بن ثابت
وكنت راكبا على راحلتي فقفزت من ظهرها الى الارض وسلمت
الراحلة لرفاقي وسرت على قدمي اريد الحس واخفيت نفسي الي
ان قربت من الحس واذا انا بجيش كثير خيل ومطايا فلطيت
الى الارض وتحققت القوم فاذا هم جيش من العرب المتنصرة يزيد
على ثلاثة الاف فارس خيل وركاب فجعلت اتسمع عليهم ما يقولون
لاتحقق امرهم فما مشيت معهم الا مقدارا يسيرا حتى سمعتهم

يقولون اذل الله اعداءكم يا قوم قد اصبنا التعب ولحقنا الجهد من
اليوم خرجنا من مدين لم نجد احدا في طريقنا ومصر قد قربنا منها
فانزلوا بنا ناخذ راحة ونريح خيلنا ونعلف عليها ونرعي ابلنا
فقد اضربهن السير والجوع فقال رجل منهم وهو مقدم القوم
وحق المسيح انّا ما انعبنا انفسنا الا في طلب الراحة والمال من الملك
ارسطوليس ولكن اذا عولتم على الراحة فانزلوا وباتوا ليلتكم وعند
الصباح ارحلوا قال نصر بن ثابت فنزلوا القوم على ماء يعرف بالغوبر
واقبلوا يجمعون الشيح وغيره ليصنعوا لهم زادا وعلفوا على خيلهم
وسرحوا ابلهم ترعي قال نصر فلما تحققت امرهم وعلمت خبرهم
وعرفت انهم من متنصرة العرب من غسان ولخم وجذام وعاملة
فعند ذلك عطفت راجعا الى اصحابي واخبرت خالدا بهم واخبرته
بامرهم وما سمعت من حديثهم ففرح فرحا شديدا وحمد الله تعالى
وشكره كثيرا قال واقبل رفاعة بن قيس وبشار بن عوف على
خالد وقالوا ايها الامير انا نري من الراي ان تترك القوم حتى
يناموا وياخذوا الراحة لانفسهم ونسير اليهم على حين غفلة منهم
ونكبسهم فلا ينج منهم احد قال فاستصوب خالد رائهم وقال
نعم ما قلتم قال فعند ذلك اقبل رفاعة بن قيس وبشار بن عوف
على اصحابهما وامروهم باخذ الاهبّة وان يلبسوا سلاحهم ويركبوا
خيلهم ففعلوا ذلك وامروا عبيدهم بحفظ الابل والرحال ووقفوا
المسلمون ينتظرون نار المشركين ان تخمد ويثقلوا في نومهم
ويكبسوا عليهم واوصى بعضهم لبعض ان يحترزوا ان لا يفلت

منهم احد فيصل الى ارسطوليس ويخبره الخبر منهم يحترز منهم
قال صاحب الحديث فوقفوا على ما اشتوروا عليه الى ان خمدت نار
القوم وتلقوا فى نومهم واختفى حسهم فعلموا ذلك منهم وتسللوا
اليهم تسلل القطا الى ان صاروا فى مقابلتهم فلم يروا لهم حسا ولا
حركة فعند ذلك هجموا عليهم و داروا بهم المسلمون كدوران البياض
بسواد العين وهجموا عليهم ووضعوا السيوف فيهم فثاروا القوم من
مراقدهم وقاموا وهوس النوم فى اعينهم وقد حارت قلوبهم ودهشت
عقولهم واشهروا سيوفهم وجعل يقتل بعضهم بعضا فى ظلام الليل
قال ووقف رفاعة بن قيس وبشار بن عوف بجماعة من اصحابهم
وخالد بن الوليد وجعلوا يرقبون القوم فمن خرج منهم يريد
النجاة لنفسه يقبضوا عليه وياخذوه اسيرا ويوثقوه رباطا قال نصر
بن ثابت ولم يزل السيف يعمل فيهم حتى اصبح الصباح والقوم
بين قتيل واسير قال نصر فاستبرينا القتلى منهم فاذا هم الف
قتيل والبقايا اسرى والاسرى قريب من الالفين فقبض خالد
على اكابر القوم وقتل الاسرى جميعا ثم اقبل خالد على الاكابر الذين
قبضهم وقال لهم اخبروني خبركم والى اين كان قصدكم قالوا نحن
قوم من متنصرة العرب من بنى عم جبلة بن الايهم قال والى اين
كنتم تريدون قالوا كنا ببلاد الشام فلما ملكتم البلاد وهزمتم
هرقل وسار بحريمه وخزاينه الى القسطنطينية وهرب ايضا جبلة
بن الايهم ببني عمه واكابر قومه وقصدوا البحر وركبوا المراكب
وساروا فى البحر الى الجزاير فطلبنا نحن ارض مدين خوفا منكم

واقمنا بمدين وكاتبنا الملك المقوقس صاحب مصر لنكون من
جنده وننصره على عدوه ويأذن لنا بالمسير اليه فابى ولم يفعل
فبعثنا بخيل وهدايا الى ولى عهده وصاحب الامر من بعده ولده
ارسطوليس وقلنا نحب ان نكون من اصحابك وجندك ونعيش
في ذلك فلما وصلت اليه هدايانا وقرأ كتابنا بعث الينا بالخلع و
امرنا بالمسير اليه فسرنا نريد مصر فوقعتم علينا وتحكمت سيوفكم
فينا فتبسم خالد ضاحكا قال من حفر لاخيه المومن بئرا القاه الله فيه
قريبا ثم اعرض عليهم الاسلام فابوا فامر بضرب رقابهم قال نصر بن
ثابت وحزنا خيلهم واباعرهم وسلاحهم واسلابهم وماكان معهم من
مال واثاث وزاد واخذنا الخلع التي بعثها لهم الملك ارسطوليس
لمقدميهم واكابرهم واذا فيها خلعة سنية كانت لمقدمهم الكبير
فاعطاها خالد لرفاعة بن قيس وسرنا نريد مصر نهارنا ذلك الى قرب
العصر اذلاح لنا دير هناك يعرف بدير مرقش وكان ديرا عامرا
بالرهبان قال نصر بن ثابت فقصدناه ونزلنا من حوله فاشرف علينا
اهله وقالوا لنا ايها العرب من انتم قلنا من اصحاب الملك هرقل
من عرب الشام من اصحاب جبلة بن الايهم الغساني وقد جئنا.
نريد نصرة صاحبكم الملك ارسطوليس لانه بعث الينا رسله بالخلع
والاموال وامرنا بالمسير اليه لننصره على هولاء العرب المحمديين
قال نصر بن ثابت ففرحوا بنا ودعوا لنا قال نصر فنظر الينا بطركهم
الكبير وكان من قسوس الشام قسا كبيرا عالما خبيرا وكان اعرف الناس
بال غسان لانه كان من قسوس الشام وربي في الشام وكان الملك

هرقل لن قطع القيصر للهايم بن جبلة قول الهايم لهذا القس بوليس بن لوقا على جباية الفضة فلما فتحوا المسلمون بعلبك وحمص هرب هذا القس بوليس الى طرابلس الى مصر فلما دخل مصر بلغ خبره الى الملك المقوقس فاستحضره فلما حضر بين يديه ساله عن حاله فحدثه بامره فخلع عليه المقوقس وجعله قايما للكنيسة المعلقه بقصر الشمع فاقام بها وصار في منزلة البابيوس لكثرة علمه وخبرته والبابيوس عند القبط هو البطرك الكبير قال صاحب الحديث فلما ساروا المسلمون الى مصر يريدون استهلاكها ومحربة ملكها قبل استهلال رمضان فلما نزلوا بها واقاموا عليها وكان من امرهم ما ذكرنا ودخل شهر رمضان ودخل الملك المقوقس الى دار خلوته التي استسنها لنفسه وجلس ولده على كرسي ملكه لانه ولي عهده من بعده احتاج الى من ينتفع برايه ومشورته فعند ذلك بعث رسوله الى دير مرقش واستحضر بطركها الكبير المسمى بالبابيوس فلما حضر بين يديه اقبل عليه واستشاره في امور اعرضها عليه واشتوروا في الكنيسة المعلقه بقصر الشمع وبعث بهذا القس اللعين بوليس بن لوقا الى دير مرقش فاقام به الى ان نزلت العرب المسلمون حول الدير ورجعنا الى الحديث قال نصر بن ثابت فلما نزلنا على الدير اشرف علينا ونظر الينا وكان اعرف الناس بخالد بن الوليد لانه راه في مواطن كثيرة في الشام وكان هربيس صاحب حمص ايضا قد بعثه رسولا الى ابي عبيدة حين نزلوا المسلمون عليها قبل فتحها في المرة الاولى

قال فجعل الملعون يتميز وجوهنا و ينظر الى لباسنا و قال من اي العرب انتم وكان الملعون فصيح اللسان بالعربية فقلنا نحن من العرب المتنصرة من الشام من اصحاب هرقل و قد اتينا لنصرة صاحبكم نقاتل اعداءه و قد بعث الينا رسوله بالخلع و الاموال و الاكرام واستنجد بنا فقال وحق المسيح ما انتم من غسان ولا من متنصرة العرب بل انتم من عرب الحجاز وما خرجتم انتم من بلادكم الا هذه الكرة وما حضرتم الشام ولا قتالها بقول اللعين لاصحاب رفاعة بن قيس وكيف يشبه زيكم زي غسان وكانوا ملوك الشام وشاركوا الروم في زيهم ولبسوا ثياب الاطلس والديباج و ركبوا الخيل بالسروج المرصعة وقادوا الجنايب المبرقعة ورفعوا على روسهم صلبان الذهب و الفضة ولاشك انكم انتم من العرب المحمديين وقد جئتم بحيلكم لتنصبوا على الملك ارسطوليس لتملكوا بلاده كما فعلتم بملوك الشام ونزعتم ملكهم من ايديهم وقتلتم البطارقة والهرقلية واني ارى بينكم الذي فتح الشام ودمر اهلها و قتل بطارقتها وابطالها وهزم ملوكها و سوف اكاتب الملك و اعلمه بقصتكم واخبره بخبركم ليقبض عليكم قال عامر بن هبار فقلت ما عندنا مما تقول خبر و قد خيل لك ذلك اما علمت ان المسلمين ما تركوا لنا شيئاً مما تقول الا نهبوه وقد اصبحنا بعد العز في الذل وبعد الغناء في الفقر وقد كاتبنا الملك ارسطوليس ان نقدم عليه و نكون من جنده ونقاتل عدوه وقد نفذ الينا الخلع وطيب قلوبنا قال عامر فضحك اللعين من قولي وقال ان جماعة غسان اكثرهم يعرفون

بلغة الروم فمن فيكم يكلمني بها فقلنا انا لانعرف غير لغتنا فقال اللعين وحق ديني ماانتم من غسان وقد صح الان قولي فيكم وانتم من اصحاب محمد فقلنا يا ويلك لوكنا ممن ذكرت لا كنا نجسران نظهر نهارا بل كنا نكمن نهارا ونسير ليلا ولكن استغفر المسيح اذ جعلت امته من اصحاب محمد فهذا ذنب عظيم ثم تركنا ولم يكلمنا فقالوا له رهبان الدير يا اباناً لو ان القوم ممن ذكرت ما دخلوا ارض مصر في ضوء النهار ولا عبروا في العمارة فقال وحق ديني اني اعرف الناس بهم وهولاء القوم من اصحاب محمد فامتنعوا منهم ولا تخرجوا اليهم طعاما ولا خبزا وسوف انفذ الى الملك واخبره بشانهم ليكون على حذر منهم قال عامر بن طهار وكان من لطف الله تعالى بنا وكرمه علينا ان الرهبان لما سمعوا بولص قال بعضهم لبعض ان كان قد عرفهم القس معرفة حقيقة فيجب علينا ان نعتقب لنا منهم صلحا فنكون آمنين من غايلتهم في ديرنا فقال راهب منهم كبير خبير بالامور صاحب علم وعقل ان فعلتم ذلك رشدتم ولكن لاندري لمن تكون الدايرة ومن ينصر من الفريقين وان كان النصر لصاحبنا نخاف من هذا القس اللعين ان يعلم بنا الملك فيقتلنا وهذا اللعين على غير مذهبنا وفي كل يوم يكفرنا لانه نسطوري ونحن يعاقبة فان عزمتم على مصالحة هولاء القوم وتاخذوا لكم منهم امانا فامسكوا هذا اللعين وسلموه اليهم يفعلوا به مايريدون وصالحوا القوم فان كان النصر لهم فذلك الذي اردتم وان كان النصر بصاحبنا فنكون قد خلصنا منه والملك لا يعلم بامرنا قال فاستصوبوا

راي الراهب واتفقوا على قبض القس وهو لا يعلم ثم مالوا عليه
وقبضوه وشدوه كتافا واشرفوا على العرب وقالوا بحق من تعتقدونه
وتشيرون اليه من دينكم انتم من اصحاب محمد ام لا فانا قد قبضنا
على القس ونريد ان نسلمه اليكم ونصالحكم وناخذ لنا منكم عهدا
واما انا فنحن قوم لا نعرف الحرب ولا له خلقنا فقال مالك الاشتر
النخعي يا هولاء اما ما زعمتم من صلحنا فنحن ما كنا بالذي نخفي
امرنا منكم ولا نرضى بالكذب لانه اشنع شيء عندنا ولا سيما ان
الاسلام يمنعنا من استعماله واتباعه ولو ان السيف على راس
احدنا وسئل عن دينه اباح به ونحن من اصحاب محمد رسول الله
صلى الله عليه وسلم ولكم الامان امان الله ورسوله قال فلما سمعوا
الرهبان ذلك من مالك نزلوا وفتحوا الباب الذي للدير واخرجوا القس
بوليس وسلموه اليهم فقال خالد يا عدو الله اردت بنا امرا واراد الله
عز وجل غير ذلك ثم عرض عليه الاسلام فابى وقال هربت من
الشام الى ارض مصر ثم اوقعني المسيح في ايديكم لست اشك ان
المسيح مسلم وانا كافر بدينكم قال فضرب خالد عنقه قال عامر بن
هبار واخرجوا لنا الرهبان من ديرهم الطعام والعلوفة فاكلنا وعلفنا
على خيلنا واقمنا عندهم الى الليل فقال الراهب الكبير الذي
اشار على الرهبان بقبض القس بوليس بن لوقا لخالد ايها الامير
اني تفرست فيك الشجاعة والبراعة من انت من اصحاب محمد قال
انا خالد بن الوليد المخزومي فقال الراهب وحق ديني انت
الذي فتحت الشام واذللت الملوك والبطارقة وان صفتك عندي

ثم دخل ديره وغاب عنه بعيد و اقبل ومعه سفط ففتحه واخرج منه كتابا كبيرا و اذا بين اوراق الكتاب صفة عمر بن الخطاب وصورته وزيه وصورة ابي عبيدة وصورة خالد و السيف بيده مشهور ثم قال لخالد ايها الامير ما زلت اترقبكم واتسمع اخباركم كلها الى ان دخلتم الشام و فتحت بعض بلاد الشام و انت الامير فلما اعزلك عمر وولى غيرك عجبت لذلك وخبرك عندنا بانك انت تكون فاتح البلاد فما السبب فى ذلك قال خالد اعلم ايها الراهب ان عمر هو الامام والخليفة ومهما امرنا به امتثلناه وامره مطاع فينا فلن نرجع عنه وبذلك امرنا الله عز وجل فى كتابه العزيز اذ يقول يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامر منكم فطاعته علينا فرض وانه يحكم بالعدل و يامر بالمعروف وينهى عن المنكر وهو على ما فتح من الفتوح وما جبينا له من الاموال ولم يزل امره مشكورا ولم يزل على زهده على التراب ولباسه المرقعة و يمشى فى الاسواق راجلا تواضعا لله تعالى لباسه التقوى واساسه الذكر وشعاره العدل فى الرعيه يعطف على اليتيم و يرفق بالارملة والمسكين ويرفد ابن السبيل فظا فى دين الله غليظا على من كفر بالله قايم بشرايع الله لا يستحى من الحق ولا يداهن فى الخالق قال اكانت هذه الهيبة له على عهد نبيكم قال نعم و لقد سمعت سعد بن ابي وقاص يقول استاذن عمر يوما على رسول الله وعنده نساء من القرشيات يكلمنه ويشكون اليه عاليين رافعات اصواتهن فلما اذن لعمر بالدخول ابتدرن النسوة للحجاب فتبسم رسول الله فقال عمر اضحك الله سنك

يارسول الله قال عجبت يا عمر من هولاء اللواتي ابتدرن الحجاب خوفا منك قال عمر فانت يا رسول الله احق ان يهبنك ثم قال لهن عمر يا عدوات انفسهن تهبنني ولا تهبن رسول الله قلن نعم انت افظ واغلظ فقال رسول الله والذي نفسي بيده يا عمر ما لقيك الشيطان يوما سالكا فجا الا سلك فجا غيره قال فلما سمع الراهب ذلك قال صلاة نبيكم وبركته ورسالته عادت علي امامك وعليكم فقال خالد فما الذي يمنعك من الدخول في ديننا قال حتى يشاء رب السموات والارض قال خالد اريد منك ان تخرج لي صلبان ديركم ومن زنانيركم قال فاخرج له صليب المذبح وكان صليبا كبيرا من الفضة وصلبان ايضاً كثيرة صغار من الفضة وزنانير فاخذها خالد وسلمها لرفاعة بن قيس وبشار بن عوف قال فاخذوها وتزايوا المسلمون بزي العرب المتنصرة الذين قتلوهم في طريقهم وباتوا ليلتهم على الدير فلما اصبح الصباح ارتحل خالد باصحابه بعد ان وكل بالدير عشرة رجال من اهل وادي القرى لئلا يخرج منهم احد ويسير الى الملك ويخبره بامرهم قال ورحل خالد من الدير باصحابه وقد تزايوا بزي المتنصرة وشدوا الزنانير على اوساطهم ورفعوا الصلبان على رؤسهم وساروا يريدون مصر وبينهم وبينها ذلك النهار قال واقبل خالد بن الوليد على نصر بن ثابت وقال له يا نصر امض انت الى الملك وبشره بقدومنا وقل له ان العرب المتنصرة قد اتت الى نصرتك قال فمضي نصر بن ثابت مسرعا حتى قرب من عسكر القبط قال نصر فلما اشرفت على عسكر القبط تبادروا الي وقالوا من انت قال نصر قلت انا

رسول العرب المتنصرة قد جئت مبشرا للملك بقدوم العرب
المتنصرة الى خدمته قال فاخذوا نصرا واتوا به الى الملك ارسطوليس
واستاذنوا عليه فاذن له فلما دخل نصر الى الملك ووقف بين
يديه زعقت عليه الحجاب ان عظم مجلس الملك بالسجود قال
نصر والله ما التفت الى صياحهم وهممت ان لا اسجد ولكن خفت
ان تنفر قلوب القوم مني ولا يتم لنا ما نريد وانهم ايضا قد صح
عندهم انه من كان من اصحاب محمد لا يسجد لملك من ملوك
الارض ممن يكفر بالله فقلت في نفسي اعقد النية لله واسجد
لرب العالمين وكنت قد سمعت رسول الله يقول الاعمال بالنيات
ولكل امرء ما نوى قال نصر فسجدت لله رب العالمين فلما رفعت
راسي من السجود قال لي وزير الملك يا اخا العرب وصلوا اصحابك
قلت نعم وها هم في ذيل الجبل المقطم قال فلما سمع الوزير ذلك
امر الحجاب والاكابر ان تخرجوا الى لقاء العرب قال فركبوا القبط
في زينتهم وقادوا المماليك الجنايب بين ايديهم بالزينة الفاخرة
والسروج المرصعة بفصوص الجواهر واللجم المجلاة بالذهب
والبراقع المحبوكة باللؤلؤ وركب معهم مقدم الجيش ارسلاوس
القبطي قال وخلع الملك على نصر بن ثابت اذ هو جاء بالبشارة
وساروا القوم الى لقاء العرب وهم يظنون انهم المتنصرة ولم
يعلموا ما قد جرت به المقادير هذا ما كان من نصر بن ثابت
وخروج القبط الى لقاء العرب واما ما كان من خالد بن الوليد
فانه سار باصحابه حتى وصل الى الجبل المقطم قال ابن اسحاق

حدثني عسكر بن حسان قال اخبرنا رفاعة بن اوس (قال حدثني نعيم بن مرة) قال كنت فيمن وجه عمر بن الخطاب من اهل وادي القرى و وادي نخلة وكان خالد يحبني ويقربني لان ابي كان شريكا للعاص بن وايل السهمي وكان يسفراله بالبضايع الى سوق بصرى فلما علم خالد بن الوليد ان القبط اصحاب الملك ارسطوليس يخرجوا الى استقبالهم خاف على قلوب المسلمين ان تتشوش لاجل ذلك اذا نظروا اليهم وخاف ايضا على عمرو بن العاص ان يتوهن فاقبل علي وقال لي يا ابن مرة اني اريد احدثك بشيء فافهمه مني قلت وما ذلك يا ابا سليمان قال اعلم ان عمرو بن العاص و اصحابه اذا راونا قد اقبلنا في زي المتنصرة والصلبان على رؤسنا والقبط قد ركبوا لاستقبالنا تتشوش قلوبهم منا ولكن اريد منك ان تنزل عن جوادك وتعطيه لعبدك و تكمن خلف هذه الحجارة فاذا نفذنا نحن عنك وابعدنا و خلا لك الوقت تسلل واقصد عسكر المسلمين واقبل الى عمرو بن العاص وحدثه بامرنا وما قد عزمنا عليه من غدر القوم ليطمئن قلبه ويكون على اهبة من امره فان عمرا لا يطمئن الى غيرك لانه يثبت معرفتك واقرئه مني السلام وقل له يكون على اهبة من امره هو وعسكره فاذا سمعوا تكبيرنا في جيش القبط يرفعوا اصواتهم بالتهليل والتكبير ويحملوا على القوم قال نعيم فقلت السمع والطاعة ثم ترجلت عن جوادي وسلمته لعبدي دارم وتسبسبت نحو الجبل وطيت خلف حجر كبير قال نعيم وسار خالد بن الوليد باصحابه

وقد تزاينوا بزي العرب المتنصرة والخلع التي بعث بها الملك للمتنصرة
وايس رفاعة بن قيس و بشار بن عوف الخلعتين اللتين بعث بهم
المقدمين ورفعوا الصلبان فوق رؤسهم و نشروا اعلام المتنصرة ورفعوا
صلبان الذهب و الفضة التي اخذوها من دير الرهبان وغير ايضاً
خالد زيه وكذلك المقداد و عمار بن ياسر ومالك الاشتر فبينما
هم سايرون اذ اقبل عليهم جيش القبط و مقدم الجيش ارسلاوس
وحجاب الملك قال فاقبل رفاعة بن قيس و بشار بن عوف على
اصحابهما و قالوا لهم ترجلوا و اصفعوا بين ايديهم فليس عليكم في
ذلك تبعات و احلفوا بالمسيح و الصليب و لا يغلط احد منكم فيذكر
رسول الله فيفطنوا القوم بنا واجعلوا سيوفكم نصب اعينكم و اتكلوا
على الله في اموركم قال ففعلوا القوم ما امروهم به مقدموهم و ترجلوا
وصفعوا للحجاب ولمقدم الجيش ارسلاوس ودعوا لهم فاقبلوا الحجاب
عليهم و اكرموهم و امروهم بالركوب فركبوا وساروا الى ان وصلوا
الى السرادق و امروهم الحجاب بالنزول فنزلوا عن خيلهم و وقفوا
بباب السرادق و استاذنوا الملك عليهم فاذن بالدخول لمقدميهم و
اكابرهم فدخل رفاعة بن قيس و بشار بن عوف ولم يدخل احد
غيرهم و وقف خالد والمقداد و عمار ومالك على باب السرادق
و بقية العرب اصحاب رفاعة بن قيس و بشار بن عوف قال فلما
دخل رفاعة بن قيس و بشار بن عوف السرادق سجدوا و خدموا
وصفعوا بين يدي الملك فاقبل عليهم ارسطوليس وقال يا
معاشر العرب انتم قد علمتم محبتنا لكم وتقربنا اليكم و قد

استدعيتكم لتكونوا معنا و تقاتلوا اعدانا و نكون يدا واحدة على هولاء العرب المتمدنين فان انتم نصحتم لنا و قاتلتم عدونا و حاميتم عن دولتنا كنا لكم بحكمكم و قاسمناكم ملكنا و خولناكم فى نعمتنا قال رفاعة ابشر ايها الملك سوف ترى ما يسرك و نبذل بين يديك مجهودنا فى قتال عدونا قال فشكرهم الملك وخلع على رفاعة بن قيس و بشار بن عوف خلعتين سنيتين فالبسوهما على الخلع التي كانت عليهما لانهم بها دخلوا عليه فلاجل ذلك اطمأن قلبه لانه هو بعث بهما اليهم و تيقن بذلك انهم العرب المتنصرة قال صاحب الحديث حدثني عامر بن اوس قال اخبرنا جُرير بن صاعد قال حدثنا نوفل بن غانم انه حدثه بهذا الحديث سُهيل بن مسروق قال لما قدم خالد بن الوليد و المقداد وعمار بن ياسر و مالك الاشتر و رفاعة بن قيس و بشار بن عوف و عسكرهم الذي وجه به امير المومنين عمر بن الخطاب من اهل وادى القرى و الطايف و وادى نخلة وكان من امرهم ما ذكرناه و اقبلوا الى عسكر الملك ارسطوليس والخلع على رفاعة بن قيس و بشار بن عوف و الاعلام و الصلبان على رؤسهم فجعلوا ينظرون اليهم و يتعجبون من امرهم فقال معاذ بن جبل لعمرو بن العاص والله يا عمرو ما هولاء من متنصرة العرب و ان نفسى تابي ذلك وانهم من اصحابنا و اني نظرتهم واحدا بعد واحد فرأيت فيهم زى وادي نخلة و الطايف و زي وادي القرى قال شرحبيل بن حسنة واحدثكم باعجب من ذلك اني رأيت خالد بن الوليد فى جملتهم و لاحت لى عمته و ثيابه التي كانت

عليه يوم دخل طرابلس قال يزيد بن ابي سفيان وانا والله رايت
مالك الاشتر النخعي وعرفته بقامته وطول ركابه وهو على السرج
كانه البرج قال عمرو بن العاص سيكشف لكم الامر ان شاء الله تعالى
قال وانقضى النهار واقبل الليل بالاعتكار واذا قد اقبل نعيم بن
مرة من الجبل يريد عسكر المسلمين وكان تلك الليلة قد تولى
الحرس سعيد بن زيد بن نفيل فلما نظروا الى شخص نعيم بن
مرة مقبلا نحو عسكرهم اقبلوا اليه مسرعين وقالوا من انت اوحد
فقال انا نعيم بن مرة ثم سلم عليهم فلما عرفوه رحبوا به وقالوا
من اين اتيت قال فاخبرهم نعيم بالقصة فاخذوا بيده واتوا به
الى عمرو بن العاص قال نعيم فلما دخلت على عمرو بن العاص
وهو في مضربه سلمت عليه فرد على السلام وقال من الرجل
قلت انا نعيم قال مرحبا يا نعيم ما وراك اخبرني خبرك
يا ابن اخي اجلس قال نعيم فجلست بين يديه وحدثته
بالحديث كله من اوله الى اخره ففرح فرحا عظيما واستبشر
بالنصر وسجد شكرا لله تعالى واستدعى لوقته بمعاذ بن جبل و
شرحبيل بن حسنة فلما حضروا وجلسوا بين يديه اقبل عليهم وقال
يا اصحاب رسول الله هذا نعيم بن مرة قد اتى الي مخبرا واخبرني
بكذا وكذا وقال لنعيم بن مرة يا ابن اخي حدثهم واخبرهم بما
خبرتني به فحدثهم نعيم ايضاً بالحديث من اوله الى اخره ففرحوا
وسروا سرورا عظيما وقالوا انا نرجو من الله عز وجل ان يكون ذلك
سببا لنصرنا على اعدائنا ثم قال نعيم ايها الامير اركب وامر امراء

المسلمين و الجيش بالركوب و كونوا على اهبة من امركم فاذا سمعتم
التكبير من عسكر القبط قد علا ارفعوا ايضاً اصواتكم بالتهليل
والتكبير واحملوا على جيش العدو قال ابن اسحاق و لله تعالى فى
خلقه تدبير وذلك انه لما جن الليل جمع ارسطوليس الحجاب
والامراء وقال قد ضاق صدري من هولاء العرب ومقامهم علينا
وقد غلا السعر عندنا لانهم قد حكموا على اهل القرى والضياع
وقد منعوا اهل البلاد ان يصلوا الينا بشيء من حواصل بلادهم و
خيلهم ايضاً تضرب الى الريف و الصعيد من هذا الجانب و ايضاً
ان اهل النوبة والبجاة ما نصرنا منهم احد و قد وقعت الفتنة بينهم
واختلفوا والراى عندي اننا نناجز هولاء العرب الحرب و يعطي
المسيح النصر من يشاء فقالوا الحجاب والامراء افعل ايها الملك ما
تريد فاننا لا نخالف لك امرا فقال ارسطوليس اخرجوا الان وعرفوا
الجند ان الحرب غدا و امروهم ان يلبسوا و يتاهبوا للحرب
ولا تطلع الشمس الا وهم على ظهور الخيل لعلنا ان نبغت العرب
على حين غفلة قال فخرجوا الحجاب لما امرهم به الملك وليس عند
الملك خبر بما قد تم فى قصر الشمع قال ابن اسحاق وكان من حسن
تدبير الله تعالى لعباده المومنين انه كان للمقوقس اخ لابيه و امه
وكان اسمه ارجانوس وكان يحبه حبا شديدا ولا يقطع امرا دون
مشورته وكانا يركبان جميعا وينزلان جميعا ولا يتفرقان وكان
ذلك من حبهما بعضهم لبعض وكان المقوقس قد دخل دار خلوته فى
شهر رمضان كما ذكرنا كعادته و جعل اخوه ارجانوس ينتظر خروجه

اذا انسلخ الشهر فلما انسلخ شهر رمضان المعظم ومضا والملك المقوقس لم يخرج فاستعظم ذلك واكبر امره واقبل الى دار خلوة اخيه يسال القوم الذين هم مرتبون لخدمته فلم ير منهم احدا يسالهم عن اخيه وما سبب ابطايه عن الخروج فلم يجد منهم احدا واستراب لامر واقبل الى ولد اخيه ولي عهده ارسطوليس ليساله فوجده جالسا على سرير ابيه وحكمه نافذ في الدولة فاستكبر امره غاية الانكار واقبل على الملك ارسطوليس وساله عن ابيه وما سبب ابطائه فقال ارسطوليس ان الملك قد راى طالعه ضعيفا مع هولاء اما العرب وقد امرني ان اكون مكانه واذبر الامر بينه وبين العرب وما بينهم وانا اقاتلهم قال فلما سمع ارجانوس ذلك من ارسطوليس سكت ولم يرد جوابا وكتم الامر في نفسه وعلم ان ارسطوليس قد قتل اباه قال صاحب الحديث وكان ايضا ارجانوس احد دولته وهو يعتقد في نبوة رسول الله صلعم وعلم ان دعوته لابد ان تطبق مشارق الارض ومغاربها وان الملوك تضمحل في ايام اصحابه وانهم يستولون على البلاد فخرج من عند ابن اخيه ولم يبد ما في نفسه لاحد وارسطوليس قد عزم في غده ان يقاتل العرب فخرج ارجانوس من عنده تحت الليل ومضى الى قصر الشمع واجتمع بمن ترك فيه ابن اخيه من اكابر دولته ومن يعتمد عليهم في اموره وحفظه فلما دخل عليهم ارجانوس قال اعلموا يا هولاء ان العقل هو قوام ابن ادم لان الله تعالى قد خصه بذلك دون مخلوقاته كلها وهذا المقوقس قد قتله ولده لا محالة

رغبة فى الدنيا وانه كان مشفقا عليكم ومريدا لكم واعلموا ان
هولاء العرب كان قدامهم من ملكه اعظم من ملككم وجنده اكثر من
جندكم فما ابقوا بين ايديهم وليس بين دولتكم وبين ان تزول
وتضمحل الا ان تلتقي الجيشان فان ظفرت بكم العرب قتلوكم
ونهبوا اموالكم واستعبدوا حريمكم واولادكم وسكنوا مساكنكم
كما فعلوا بغيركم قالوا ايها السيد فما الراي في ذلك قال الراي ان
تستيقظوا لانفسكم وتغلقوا باب قصركم ولا تدعوا احدا يدخل
اليكم من جند الملك ولا هو بنفسه فانه لا يقدر يقاتلكم والعرب
من ورايه وانه يعبر الى الجانب الغربي ويسير الى الاسكندرية
وانا بعد ذلك اعتقب لي ولكم صلحا من هولاء العرب وناخذ على
انفسنا واموالنا وحريمنا وبعد ذلك من اراد ان يتبعهم على دينهم
فلا مانع له ومن اراد ان يستقيم على دينه ادي لهم الجزية وصان
بها دمه وماله وعياله وولده قال فلما سمعوا ذلك منه استصوبوا
رايه وعلموا ان الحق معه قال وكان ارجانوس اخو المقوقس يركب
في الف فارس من مماليكه قال صاحب الحديث واحتوى ارجانوس
على قصر الشمع وما فيه من خزاين اموال وقماش وسلاح واثاث
وارزاق وغلق بابه وصعد برجاله على اعلى القصر وليس عند
الملك ارسطوليس خبر من ذلك قال واقبل بعض غلمان ارسطوليس
ممن كان قد وقف على هذا الامر واخبره بما كان من امر عمه ارجانوس
فلما سمع ارسطوليس ذلك ايقن بذهاب ملكه وخروجه من يده
وبقي في حيرة من امره واراد ان يقوم ويدخل الى القصر تحت

الليل واذا بالتهليل والتكبير قد علا من وسط عسكره والعرب قد ثارت قال فلما سمع عمرو بن العاص التكبير قد علا في جيش القبط وكان ايضا قد ركب وركب جميع عسكره فعند ذلك كبر عمرو بن العاص وكبروا المسلمون وحملوا على عسكر القبط وعمل السيف فيهم قال فلما نظر ارسطوليس الى ما نزل به من كبسة العرب وتحقق ان العرب الذين اتوا اليه ليلة في زي المتنصرة قد ثاروا في عسكره علم انها من مكايد العرب وانه ليس له بهم طاقة وركب في وقته وساعته وركبت حجابه وبطارقته ومماليكه وامراءه وغلمانه وحملوا الخزانة والاموال والاثقال وقدموا الجميع بين يديه وساروا حمية تحت الليل واخترقوا مصر ولم يزالوا حتى اتوا الجسر الاول وعبروه وساروا الى دمريوط فترك المرديان الساقي عليها في ثلثة الاف فارس وساروا يريدون الاسكندرية قال وصاح الصايح ان الملك ارسطوليس قد انهزم فما ثبت من عسكره احد وولوا منهزمين والسيف يعمل فيهم ونصر الله عز وجل اصحاب نبيه ✽ قال ابن اسحاق حدثني من اثق به انه قتل تلك الليلة من عسكر القبط خمسة الاف فارس وغنموا المسلمون خيامهم وما كان فيها من مال واثاث فلما اصبح الصباح اقبل خالد وعمار والمقداد ومالك الى عمرو بن العاص وسلموا عليه وعلى اصحابه وسلموا المسلمون بعضهم على بعض واقبل رفاعة بن قيس وبشار بن عوف الى عمرو بن العاص وسلموا عليه فاقبل عليهم عمرو وسلم عليهم ورحب بهم ودعا لهم وشكرهم على

نعلهم قال وحدث خالد بن الوليد لعمرو بن العاص ما كان من امرهم مع العرب المتنصرة وكيف اباد وهم جميعهم وملكوا ماكان معهم من خيل واباعر وسلاح وقماش وحدثه بحديث اهل الدير ورهبانه وقتل القس الكبير واخذهم الصلبان والزنانير وكيف دخلوا علي ارسطوليس بالحيلة والخديعة ففرح عمرو بكلامه وشكر الله تعالي علي ذلك ودعا لخالد وللمسلمين وارتحل من مجرى الحصا بعسكره وساروا حتى اقبلوا علي مصر وملكوا دروبها ونزل خالد وعمار والمقداد ومالك الاشتر علي قصر الشمع فاشرف عليهم ارجانوس بن راعيل اخو المقوقس وقال لهم بلسان عربي يا فتيان العرب اعلموا ان الله عزوجل قد امدكم بالنصر وملكتم البلاد واعلموا اني قد فعلت بحقكم من الخير كذا وكذا ولولا حيلتي التي عملتها على ابن اخي لما انهزم منكم والان فنحن نصالحكم ونسلم اليكم هذا القصر علي انكم لا تتعرضوا لى شيء هولنا ولا تمدوا ايديكم الينا بسوء ومن اراد منا ان يدخل في دينكم فلا مانع له ومن اختار ان يبقي علي دينه فلا مكره له ويودي الجزية قال فكلمه معاذ بن جبل وقال له اعلم ان الله عزوجل قد نصرنا لى الكفار بصدق نياتنا وصالح اعمالنا واتباعنا الحق وانا ما قلنا قولا الا وصدقنا وما عاهدنا عهدا الا ووفينا بما عاهدنا وما استعملنا غدرا ولا مكرا ولكم الامان علي انفسكم واموالكم وحريمكم واولادكم ومن اسلم منكم ودخل في ديننا قبلناه ومن بقي علي دينه فلن نكرهه وقنعنا منه بالجزية قال فلما سمع

ارجانوس ومشايخ مصر و مقدموها ذلك طابت قلوبهم و نزل ارجانوس و فتح باب القصر و خرج اليهم بالمفاتيح وسلمها اليهم قال صاحب الحديث فاخذ خالد واصحابه لارجانوس ومشايخ مصر و مقدميها وساروا بهم الى عمرو بن العاص واوقفوهم بين يديه وقص عليه خالد امر الصلح و ما اتفقوا عليه ففرح عمرو بذلك و اقبل عليهم و قال يا قوم اعلموا ان الله تعالى قد نصرنا عليكم و قد هزمنا ملككم وانتم الان فى قبضتنا و قد صرتم عبيدا لنا لاننا فتحنا مدينتكم بالسيف وانتم الان تحت قهرنا فقال ارجانوس ايها الامير ما هكذا سمعنا منكم ان الله عزوجل اسكن الرحمة فى قلوبكم وانكم تعفون عمن ظلمكم وتحسنون الى من اسى اليكم وانتم تعلمون انا قوم رعايا مامور علينا ولوكان الامر الينا لاتبعناكم فارفقوا الان بنا وانظروا الى حالنا فقال عمرو للصحابة ماتصنع فى امر هولاء القوم قال شرحبيل بن حسنة ايها الامير اصنع بهم ما امرك الله عزوجل به من العدل والاحسن اليهم و طيب قلوبهم فانك تملك غير هذه المدينة بما يسمع عنك و يبلغ اهل المدن فيسلموا اليك بلا حرب ولا منازعة قال و تكلم معاذ بن جبل و اكابر الصحابة و قالوا ايها الامير القول ما قاله شرحبيل فقال عمرو يا اهل مصر قد امناكم على انفسكم واموالكم و حريمكم و اولادكم منة منا عليكم وقد اهدرت عنكم جزية هذه السنة وفى السنة الاتية اخذ منكم الجزية من كل راس بلغ الحلم اربعة دنانير و من اسلم منكم قبلناه قال فلما سمع ارجانوس كلام عمرو قال

انصفت والله بهذا نصرتم وقد رجعت الان على صحة دينكم وانا اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله وان كلما ترك ابن اخي في قصر الشمع من خزائن واموال وقماش وسلاح واثاث هدية مني اليكم جزاء بما فعلتم باهل بلدي قال فلما نظروا اهل مصر الى صاحبهم ارجانوس وقد اسلم وامن دخل اكثرهم في الاسلام قال وعمد عمرو الى كنيستهم فجعلها جامعا وبه يعرف الى يومنا هذا بجامع عمرو بن العاص . قال صاحب الحديث وجمع عمرو الاموال التي اخذها من خيام القبط المنهزمين واخرج منها الخمس لامير المومنين عمر بن الخطاب وفرق الباقي على المسلمين واعطى كل ذي حق حقه ثم كتب كتابا الى الخليفة عمر بفتح مصر وما كان من امرهم وبعث الكتاب والخمس مع علم بن سارية وسير معه مائة فارس وامره بالمسير الى المدينة فساروا مجدين ليلا ونهارا الى ان وصلوا الى المدينة ودخل علم بن سارية على امير المومنين عمر وسلم عليه وناوله الكتاب فرد عليه السلام وقبض الكتاب وقال من اين اقبلت قال يا امير المومنين من مصر من عند عمرو بن العاص قال ما اسمك قال يا امير المومنين انا علم بن سارية قال مرحبا بك يا علم ثم فض الكتاب وقراه سرا حتى اذا اتى على اخره فسجد شكرا لله ثم رفع راسه وقراه جهرا على المسلمين ففرحوا بذلك ورفعوا اصواتهم بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير ثم امر عمر برفع مال الخمس الى بيت مال المسلمين * قال صاحب الحديث وانقل بالمغنى عن الرواة ات علم بن سارية

اقبل على امير المومنين عمر بن الخطاب و قال يا امير المومنين عمرو بن العاص يسلم عليك و يقول لك ان الكفار كانوا قد استسنوا سنه في نيلهم وذلك انهم كانوا اذا ابطأ عليهم طلوع نيلهم ياخذون جارية و يزينونها باحسن زينة و يرمونها في النيل فياتي الماء قال فلما سمع عمر ذلك كتب كتابا يقول فيه * بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله امير المومنين عمر بن الخطاب الى عمرو بن العاص سلام عليك فاني احمد الله الذى لا اله الا هو واصلى على نبيه فاذا وصلك كتابي هذا فاطلب اعداء الله حيث كانوا من البلاد واياك ان يلين جانبك لهم وانظر فى احوال الرعية واعدل فيهم ما استطعت واطلب العفو من الله بالعفو عن الناس و اجر الناس على قوانينهم و قرر لهم واجبا فى دواوينهم (دواوينهم) واحي الرسوم العافية بالعدل فى الرعية: فانما هي ايام تمضى و مدة تنقضى فاما ذكر جميل و اما خزى طويل و السلام * ثم كتب كتابا ثانيا الى نيل مصر يقول فيه * بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله امير المومنين الى نيل مصر اما بعد فانك مخلوق لا تملك ضرا ولا نفعا فان كنت تجري بحولك و قوتك فانقطع فلا حاجة لنا فيك وان كنت تجري بحول الله عز وجل و قوته فاجر كما كنت تجري و السلام * ثم طوي الكتابين وسلمهما الى علم بن سارية وقال له سلم على عمرو بن العاص وقل له اطرح هذا الكتاب فى النيل ثم امره بالمسير قال علم بن سارية فاخذت الكتابين و ركبت مطيتي وركبوا ايضا المائة فارس الذين اتوا معي في صحبة الخمس و عدنا نريد مصر و دخلنا فى السير ليلا

ونهارا حتى قدمنا مصر واقبلت الى عمرو بن العاص وسلمت عليه وناولته الكتابين ففض عمرو كتابه وقراه سرا وتبين معانيه وما امره به امير المومنين عمر واما كتاب النيل فرماه عمرو بن العاص فى النيل وكان قد انقطع وايسوا الناس من الزراعة فى عامهم ذلك فوالله ما اصبح صباح تلك الليلة والنيل قد اقبل كالبحر العجاج يتلاطم بالامواج * قال صاحب الحديث حدثنا محمد بن يحيى عن سالم عن عدي عن حجاج بن عاصم عن يحيي بن عوف قال بلغنا ان عمرو بن العاص انه لما فتح مصر اقبل الى كنيستها المعظمة فوجد فيها بيتا مقفلا ففتحه فاذا فيه صورة من الفضة وامام الصورة شخص اخر وفي يده الشخص ازلام وهذه الصورة والشخص على صفة الصورة والشخص التي وجدها المصطفى صلعم فى الكعبة حين فتح مكة فقال هذه صفة ابراهيم وصفة ابيه ازر قال فتبسم عمرو وقرا مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا ط وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (قال) معاذ بن جبل لما قدمت من اليمن سمعت اباهريرة يقول سمعت رسول الله يقول يلقي ابراهيم ابوه ازر يوم القيامة وعلى وجهه قترة وغبرة فيقول له ابراهيم الم اقل لك لا تعص فيقول له ابوه اليوم لا اعصيك فيقول ابراهيم يا رب انك وعدتني انك لا تخزيني يوم يبعثون فاي خزي اخزي من هذا فيقول الله عز وجل اني حرمت الجنة على الكافرين ثم يقول يا ابراهيم انظر ما تحت قدميك فينظر فاذا هو بالريح تلتطم فيوخذ بقوائم ازر فيلقي فى النار قال فعند ذلك امر عمرو بن العاص بالصورتين فكسرت . قال صاحب الحديث

ثم امر عمرو بن العاص جيش المسلمين بالعبور الى الجانب الغربي في تبع العدو قال فعبر الجيش وفي مقدمته خالد بن الوليد و رفاعة بن قيس والمقداد بن الاسود الكندي وعمار بن ياسر و مالك الاشتر النخعي وعبد الله يوقنا و بنو عمه وجيشه و ساروا يريدون دمروط قال فلما عبروا الى الجانب الغربي بعث خالد ليوقنا رسولا و معه عشرين فارسا من خدمه وبني عمه وجيشه الى المردبان الساقي فسار يوقنا بهم حتى اتوا مدينة دمروط ووقفوا قبال البلد فلما نظروا اليهم اهل المدينة اقبلوا الى المردبان الساقي واخبروه بهم فبعث اليهم غلمانه يسالونهم عن امرهم فلما سالوهم قال يوقنا انا رسول اليكم من امير العرب فرجعوا الغلمان الى صاحبهم المردبان واخبروه بذلك فامر غلمانه بادخالهم اليه فاقبلوا اليهم و فتحوا لهم الباب ودخلوا بهم اليه فلما وقف يوقنا واصحابه بين يديه قال لهم ما الذي اتي بكم الينا قال يوقنا ان امير المسلمين وجهني اليك رسولا وهو يستشار لك ان تعمل على خلاص نفسك وخلاص من اتبعك من قومك واشير عليك بالخير على ان تسلم هذه المدينة اليوم ولك الامان على نفسك و مالك واهلك و لك ايضا الخيار في المقام ان اخترت ان تكون تحت يد الاسلام فلا مانع يمنعك و ان اخترت المسير بمالك و اهلك وقومك فسر حيث شئت و الى اي موضع تريد فنحن نوصلك و السلام ۞ قال فلما سمع المردبان ذلك قهقه ضاحكا و قال وحق ديني ان الغدر شعاركم و المكر دثاركم ولا آمن من امن اليكم ولا من دخل في دينكم و ما انا ممن اخون الملك

و اسلم بلده و انا و اياه في ارض واحدة وسوف ابعث الى الملك كتابا
و اخبره بامركم و ستعلمون على من تدور الدواير ومن يكون المغبون
في الاخر ثم امر بالقبض عليهم و قال ليوقنا و من معه وانتم يا
معاشر الروم كفرتم بالمسيح وجحدتم السيدة ام النور وخرجتم عن
ملة الحواريين ودخلتم في دين هولاء العرب الجياع الاكباد والعراة
الاجساد فوحق المسيح لابعثن بكم الى الملك ارسطوليس يقتلكم
و يقابلكم على كفركم ثم امر بهم الى السجن بعد ما اخذ سلاحهم
و انطلقوا بهم الى بيت في دار الامارة و اوثقوهم بالحديد وعول
ان يبعث بهم الى الاسكندرية واقام ينتظر غفلة لينفذ بهم ثم
وكل بهم جارية من جواريه كان اسمها رينا بعد ما حطهم في بيت
مظلم في دار الامارة وامرها بحفظهم وسلم اليها مفتاح البيت
و امرها ان تدخل عليهم بما يقوتهم من ماكول ومشروب
فامتثلت ما امرها به قال واشتغل عدو الله المردبان بالطعام والشراب
حتى سكر وسكرت غلمانه فلما نظرت الجارية رينا الى المردبان
الساقي وقد سكر وسكروا غلمانه امنت على نفسها واقبلت الى
البيت وفتحته ودخلت على يوقنا واصحابه وقالت لا خوف عليكم
واعلموا ان الله تعالى القي رحمتكم بقلبي و اعلموا اني انا اخت
مارية القبطية التي اهداها الملك المقوقس لنبيكم واني اذا خلصتكم
اريد منكم ان توصلوني الى مدينة نبيكم لعلي ارى اختي واني
قد عزمت على ان احلكم من وثاقكم واسلم اليكم لامة حربكم
قال يوقنا نفعل ذلك ان شاء الله تعالى غير اني اخاف عليك من عدو

الله ان يفطن لك فما تصلي الى ما تريدين ويقتلنا ويقتلك فقالت ما
جئت الحكم الا وعدو الله قد سكر هو وغلمانه فقال يوقنا يجب
للعاقل ان يخاف موضع الامن فعرفينا كيف يكون خروجنا والباب
الذي للمدينة مغلوق قالت اعلم انه يكون خروجكم من غير باب
المدينة وان خروجكم من وسط دار الامارة الى ظاهر المدينة من
طريق تحت الارض تخرج الى المقابر الى قبة مبنية على ثمانية اعمدة
وباب المخرج تحت القبة يدخل اليه الداخل ويخرج منه الخارج
والباب الذي تحت القبة على صفة القبر فمن راه يظن انه قبر
لبعض الملوك واعلم ان الذي بنى هذه المدينة كانت امراة وهي ام
العادين وكان اسمها قمرامات بنت عاد وهي التي صنعت هذه
المقابر التي تراها كانها قصور مشيدة فقال يوقنا افعلي ما شئت من
الخير وما يقربك الى الله تعالى ولعل تخرجينا من هذه الطريق
وما يعلم بنا احد ونروح الى عسكرنا ونخبرهم بذلك لعل يدخلون
المدينة من هذه الطريق ويملكونها ما دام المرزبان سكران هو
واصحابه وغلمانه قالت سوف افعل ذلك ثم خرجت واقبلت الى
المرزبان واشرفت عليه واذا هو وغلمانه صرعى من الخمر
سكارى نيام فرجعت مسرعة الى باب السرداب لتفتحه واذا هي
بحس من وراء الباب في السرداب فخافت ووقفت تسمع الحس
قال صاحب الحديث حدثني عبد الرزاق قال اخبرنا سليمان
بن عبد الصمد قال حدثني سفيان الاعمش قال اخبرنا
اوس بن ماجد وكان ممن شهد فتوح مصر والاسكندرية وكان

حافظا للوقايع و بما جرى للمسلمين من القتال ز الحروب قال كنت
نيمن صحب خالد بن الوليد حين بعثه عمرو بن العاص الى
الاسكندرية قال لما نزلنا على دمربوط بجيشنا و نفذ خالد ليوقنا
رسولا الى المردبان الساقي ومعه عشرين فارسا من بني عمه
وقومه وقبض عليهم المردبان واقام خالد ينتظر رجوعهم فابطوا
عليه ومضى النهار و اقبل الليل بالاعتكار ولم يرجعوا علم خالد
انهم قد قبض عليهم فبقي قلقا مهموما من اجل يوقنا واصحابه
وكان خالد صاحب عزيمة وهمة عالية لا ينام الليل من خوفه على
المسلمين وكان معه جواسيس له من كل بلد يملكونه واقليم يأخذونه
ويضع عنهم الجزية ويعطيهم اوفى اجرة ليكشفوا له الاخبار و يقضوا
له الاشغال و ياتوه باخبار الملوك والعساكر فبينما خالد تلك الليلة
التي قبض فيها يوقنا واصحابه وهو قلق مهموم من اجل ابطائهم
عليه و نفسه تحدثه باشياء اذ وردت عليه عيونه فاخبروه ان
ولد المردبان الساقي قد اقبل من عند الملك ارسطوليس بالخلع
والتحف في خمسماية فارس يريدون دمربوط فبلغه الخبر بنزولكم
على المدينة فخاف جانبكم وقد نزل بالعسكر بالبعد من المدينة
وقد خرج راجلا منفردا مع خادمين وسار خفية الى نحو المدينة
وما ندري ما الذي يريد ان يصنع قال فلما سمع خالد من عيونه
ذلك قام مسرعا واخذ معه غلامه همام واربعة رجال من آل
مخزوم واربعة من جيش المسلمين وساروا الى ان قربوا من المقابر
وجلسوا معاً عند سفح الجبل ولطوا بالارض بالبعد عن الطريق وجعلوا

الطريق بين ايديهم واذا بابن المردبان والخادمين قد اقبلوا ولم يزالوا سايرين الى ان اتوا الى قبة هناك فدخلوها فتسلل خالد واصحابه وهمام وافترقوا من حول القبة وكبسوهم في القبة واذا هم يزيلون التراب فلما هجم خالد واصحابه عليهم خافوا وجعل ابن الملك والخادمون يرتعدون خوفا فقال لهم خالد ما بالكم لا تخافوا قال انتم اخبرتموني بخبركم وصدقتموني آمنتم وان كذبتم رميت رؤسكم فقال الغلام انا ابن المردبان الساقي وكنت عند الملك ارسطوليس وقد بعث معي خمسماية فارس نجدة لحفظ هذه المدينة فلما كنت في الطريق التقاني جواسيسنا واخبروني بنزولكم على هذه المدينة فامرت العسكر بالنزول ثم تركتهم واتيت بهذين الخادمين الى هذه القبة قال خالد وما الذي تريدون من القبة اكم فيها مال او سلاح قال لا قال خالد اصدقني والا رميت براسك قال الغلام يامولاي ان انت آمنتني حدثتك قال لك الامان ان صدقتني فقمل الغلام يده وقال يامولاي اريد منك الامان لي ولابي ومن يلوذ به قال لكم الامان جميعا قال الغلام اعلم ان في هذا القبر الذي في هذه القبة هو باب سرذب والسرذاب ينتهي الى دار امارة ابي والدار في وسط المدينة قال فلما سمع خالد ذلك من الغلام تهلل وجهه فرحا وقبض على الغلام والخادمين وامر بعض من كان معه بحفظهم واقبل خالد وهمام وجعلوا يكشفون ذلك القبر ويزيلون ذلك التراب حتى بان لهم السرذاب واذا هو بلا غلق فدخل فيه شيئا يسيرا فوجد بابا مغلقا فعالجه خالد حتى فتحه

فعند ذلك اقبل خالد على عبده همام وقال له سر مسرعا الى العسكر واستدع بالابطال والاكابر فى السر وايتني بهم فى السر بغير ضجة ولا انزعاج فمضى همام مسرعا واستدعى بابطال المسلمين وفرسان الموحدين مثل عمار بن ياسر ويزيد بن ابي سفيان وشرحبيل بن حسنة ومالك الاشتر وربيعة بن عامر والغطريف وظافر بن زيد وكهلان بن عمرو وخزيمة بن اسلم ومعمر بن ساف وجابر بن سراقة وسعيد بن زيد ومثل هولاء السادة ولم يزل همام يستدعى الرجال والابطال حتى استكملهم ثلثماية رجل من ابطال المسلمين وتقلدوا بسيوفهم ودرقهم وساروا مسرعين وقد اخفوا حسهم واخذوا معهم مشاعل تضيء بين ايديهم الى المقابر وكان بين القبة والمدينة تل عال مرتفع فاذا كان احد باعلى سور المدينة لا يري من يكون وراء التل قال فلما وصلوا المسلمون الى القبة امرهم خالد ان يقفوا على باب السرداب ودخل خالد وابن المرد بان والخادمون فى السرداب الى ان وصلوا الى الباب الجواني فكان وصولهم اليه وريناا اخت مارية تريد فتحه قال فلما سمعت ريناا الحس قالت من انتم فقال خالد للغلام كلم هذا المتكلم وقل له يفتح الباب ولا يعلم لابيك المردبان فقال الغلام من انت يا هذا الذي وراء الباب فقالت الجارية وقد عرفت كلامه انا جارية ابيك رينا قال لها الغلام افتحي ولا تعلمي ابي قال فلم يبق لها يد تفتح الباب من خوفها ثم فتحت الجارية الباب ودخل خالد وابن المردبان والخادمون وقبض خالد على الجارية قال ودخلوا

المسلمون في السرداب رجل بعد رجل حتى دخلوا الثلثمائة رجل قال
فلما قبض خالد على الجارية رينا وكانت فصيحة اللسان بالعربية
فقالت لخالد وللمسلمين لا تقبضوا علي وانا كنت ساعية في
خلاص اصحابكم وافتح لهم هذا الباب واتركهم يسيرون اليكم و
يعودون بكم الي حتى املكهم هذا البلد وانا رينا اخت مارية القبطية
زوجة نبيكم التي اهداها له الملك المقوقس قال فلما سمع خالد
هذا الكلام منها فرح وقال اين اصحابنا قال فاتت بخالد و
اصحابه الى البيت الذي فيه يوقنا واصحابه فدخل خالد و
اكابر الصحابة اليهم وسلموا عليهم وهنوهم بالسلامة وازالوا
عنهم وثاقهم وخرجوا واقبل خالد باصحابه الى دار الامارة
فوجدوا المرزبان واصحابه صرعى من الخمرة سكارى فوكل خالد بهم
جماعة من المسلمين وبعث ايضا بجماعة من المسلمين الى السور
فقبضوا من كان عليه من الحراس والرجال ونزلوا على باب المدينة و
اذا لها بابان فكسروا الاقفال وازالوا السلاسل وفتحوا البابين و
بعث خالد همام الى الجيش وامره ان ياتي بجميع العسكر فسار
همام مسرعا الى العسكر وامرهم بالركوب والمسير الى المدينة
فركبوا جميعهم واقبلوا مسرعين الى المدينة ودخلوها تحت الليل
وملكوها واقام خالد فيها بالجيش الى ان اصبح الصباح فلما اصبح
الصباح استيقظ المرزبان من منامه وفاق صحا من مدامه فعند ذلك
امر خالد بن الوليد للمسلمين ان يرفعوا اصواتهم بالتهليل والتكبير
والصلاة على البشير النذير صلعم فلما سمع المرزبان واصحابه اصوات

المسلمين في المدينة عالية بالتهليل والتكبير نهض المرزبان وغلمانه عند سماعهم اصوات المسلمين في المدينة وقد اندهشت عقولهم ورجفت قلوبهم وانعقد لسان المرزبان واراد ان يخرج من دار امارته لينظر ما الخبر واذا بالمسلمين موكلين بالباب فارتجف فؤاده وارتعدت مفاصله فاقبل اليه خالد وقال يا عدو الله لولا اني اعطيت ولدك الامان قتلتك شر قتلة ولكن خذ اهلك ومالك وانصرف حيث شئت فانا قوم اذا قلنا صدقنا واذا وعدنا وفينا فعند ذلك علم المرزبان الساقي ان الذي اصابه كان من جهة ولده فخرج عدو الله باهله وماله وتخلف عنه ولده وقال لخالد يا مولاي انا اعلم ان ابي ان مضيت معه قتلني هو والملك ولست اريد غيركم بدلا وانا اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فقال خالد اذا اسلمت فلك قصر ابيك وما ترك فيه واعرض خالد الاسلام على اهل دمربوط فاسلم اكثرهم ثم اقبل خالد على عبد الله يوقنا وقال يا عبد الله ابشر بالرضوان من الله والثواب والغفران فقد نلت ما تريد من الله عز وجل بصبرك على الشدايد وبصبرك فتح الله علينا هذه المدينة قال يوقنا لا والله بل بفضل الله وبركة رسوله صلى الله عليه وسلم قال واكرم خالد رينا اخت مارية وشكر لها فعلها واثنى عليها خيرا واسلمت مع من اسلم واوعدها خالد بكل خير وانضافت الى حريم المسلمين قال وكتب خالد الى عمرو بن العاص كتابا بفتح دمربوط وهو مقيم يومئذ بمصر وعرفه انه عازم على المسير الى الاسكندرية قال ابن اسحاق واقام خالد بدمربوط بسبب مداواة

ذى الكلاع الحميري لانه اصابه مرض شديد فلبث فيها شهرا كاملا ولم يقدر خالد ان يفارقه وهو ينتظر عافيته فقضى الله تعالى انه مات باجله فحزن عليه خالد والمسلمون حزنا شديدا وكان ذو الكلاع الحميري ملك حمير وكان قبل دخوله فى الاسلام يركب لركوبه اثنى عشر الف مملوك من السودان شري ماله قال ابو هريرة رايته بعد تلك الحشمة حين دخل فى الاسلام وهو يمشي في سوق المدينة وعلى ظهره جلد شاة وذلك حين اتى بريد الجهاد في ايام ابي بكر الصديق قال صاحب الحديث فلما مات رثاه ولده نوح بما رثى به حمير لابيه سبا بن يشجب بهذه الابيات * شعر *

* عجبت ليومك ماذا فعل * * وسلطان عزك كيف انتقل *
* وسلمت ملكك لا طايعا * * و سلمت للامر لما نزل *
* فيومك يوم رفيع العويل * * و رزءك فى الدهر رزء جلل *
* فلا تبعدن فكل امرأ * * سيذكر بالسنن الا جل *
* لئن صحبتك صروف الزمان * * وساءك بك الدهر زيد الامل *
* لقد كنت بالملك ذا قوة * * لك الدهر بالعز عان وجل *
* بلغت من الملك اقصى المنى * * نقلت و عزك لم ينتقل *
* وطحطحت اناقه و المدى * * وحزت من العرب جود الدول *
* حويت من الملك افاقه * * ونلت من الملك مالم ينل *
* وحملت عزك ثقل الامور * * فقام بها حازما و انتقل *
* صحبت الدهور فاوديتها * * وماخاب سعيك فيما فعل *
* بنيت القصور كمثل الجبال * * ذهبت فلم تبق الا الطلل *

* نعمنا بايامك الصالحات * * شربنا بسجلك وبلا وطل *
* ويومك في المدراقصي الذي * * ولم ندر بالامر حتى نزل *
* فزالت لعمرك شم الجبال * * ولم يك حزمك فيها هبل *

قال صاحب الحديث ولما مات ذو الكلاع الحميري حمله ابن عمه عجلان بن مضاض الحميري الى مصر بعد ان صبره وعول ان يسير به الى اليمن قال حدثني زياد بن اوس الطائي قال اخبرني معمر بن الشديد المازني قال لما فتح الله تعالى على المسلمين دمربوط وكان من ذي الكلاع الحميري وموته ما كان رحل خالد بن الوليد بعسكر المسلمين يريد الاسكندرية فنزل بنا في قرية تعرف بالشجرة * قال صاحب الحديث ولما فتحوا المسلمون دمربوط اتصلت الاخبار الى الملك ارسطوليس بفتحها وهو بالاسكندرية مع قوم من جواسيسه فضاق صدره لذلك ثم بعد ذلك بايام قلايل وصل اليه المرديان الساقي بماله وعياله واخبره بعبور المسلمين الى الجانب الغربي وحدثه بما كان من امره من اوله الى اخره وقبضه على رسول المسلمين يوقنا واصحابه حين اتاه رسولا وبفتح المسلمين المدينة على يد ولده ودخولهم الى المدينة من السرداب بلا حرب ولا قتال فلما سمع الملك ذلك من المرديان الساقي غضب غضبا شديدا وقال وحق المسيح لاغيضن العرب بكل ما اقدر عليه وكتم في نفسه ما يريد ان يفعله * قال صاحب الحديث ولقد بلغني ان مدينة الاسكندرية كانت غير عامرة وانما كانت العمارة بمدينة اسلاروس وكانت اهلة بالخلق وهي هذه المدينة المسماة بدمربوط وكان السبب

في تسميتها بهذا الاسم ذلك انه كان بها حكيم من حكماء القبط وكان خبيرا ماهرا وكان اسمه بوط وكانوا الناس يشيرون اليه ويقتبسون من علمه ويتمسكون بقوله وانه قال لاهل مدينته اعلموا انه لابد ان يظهر من الحجاز نبي يختم الله تعالى به الانبياء والرسل وتنتشر دعوته بالمشرق والمغرب فلما بعث محمد صلعم وهاجر الى المدينة وقبض وتولى الخلافة ابو بكر الصديق وجهز جيوشه الى الشام فبلغ الخبر الى حكيم اسلاروس وهو الحكيم بوط كما ذكرنا فعمد الحكيم الى ثلثة افراخ حمام فسل جناح احدها لئلا يطير ومعط ريش الثاني وترك الثالث بريشه على حاله ليطيق الطيران ثم اغلق بابه وارتحل على حين غفلة من اهل مدينته وسار طالب الغرب قال فلما كان بعد يومين طلبوه فلم يجدوه فدخلوا بيته فراوا ثلثة طيور حمام الواحد منسول الجناح والثاني ممعوط الريش والثالث كامل الريش يريد الطيران فقالوا العلماء منهم انه قد ضرب لكم مثلا وقال بلسان اشارته من قدر منكم ان يرتحل من هذه المدينة فليفعل فانه يغتنم سلامته مثل هذا الطاير الكامل الريش الذي يطير ومن كان ثقيلا بالعيال فليرتحل قليلا قليلا شبه هذا الطاير المنسول ومن كان فقيرا من المال ثقيلا بالعيال فهو مثل هذا الطاير الامعط الذي لا ريش له فان اقام هلك ولا قدرة له على الرحيل ثم خرجوا من منزله وهم يقولون دمربوط فتحول اسم هذه المدينة من اسلاروس الى دمربوط قال وتحول اكثر اهلها الى الاسكندرية وعمرت من ذلك الوقت الاسكندرية وكثر اهلها ٭

ورجعنا الى الحديث قال فلما بلغ الملك ارسطوليس فتح دمربوط بلا حرب ولا قتال غضب غضبا شديدا وقال وحق المسيح لا غيضن العرب بكل ما اقدر عليه ثم بعث عشرين مركبا فى البحر وجرد فيها من خيار جنوده ورجاله وابطاله ما يزيد على اربعة الاف رجل وامرهم ان يسيروا الى ساحل يافا ثم قال لمقدم المراكب اذا وصلت الى الساحل لا تنزل البر حتى تبعث جواسيسك ياخذون لك اخبار حلل العرب فحيث اخبروك بها نازلة فاتركهم الى الليل والصق بالمراكب الى البر ليلا وانزل اليهم واكبسهم واجهد بانك لا تقتل منهم احدا ان امكنك واتني بهم اسرى قال المقدم سمعا وطاعة سافعل ما امرتني ثم اقلعوا من يومهم وشالوا القلوع وساروا فى البحر ثلثة ايام بلياليها فمرت بهم الريح على ساحل الشام بموضع يعرف بيافا فعرجوا عن ساحل يافا لانهم لم يروا به احدا من الحلل وساروا حتى قربوا من ساحل الرملة واذا به حلل من العرب نزولا فلما لاحت لهم تلك الحلل الصقوا مراكبهم الى البر واخذوا الى انفسهم حتى اقبل الليل بظلامه والعرب قد اضرمت نارها فنزلوا من مراكبهم وقصدوا النار قال صاحب الحديث وكانت الحلة التي قصدوها من دوس من بني عم ابي هريرة وكان فى جملتهم ضرار بن الازور وكان متمرضا واخته معه تداوينه وتصلح له حاله وكان الامير ابوعبيدة قد امرهم بالنزول فى ذلك الموضع وهم مقيمون فى تلك الارض وهم آمنون من عدو يطرقهم لان دولة الروم قد انقرضت وايامهم قد ولت

فلم يشعروا الا والقوم قد كبسوهم فقتلوا منهم من مانع عن نفسه
واخذوا كل من في الحلة اسرى وضرار واخته في جملتهم. واركبوا
الجميع في المراكب الرجال والنساء والصبيان والعبيد والاماء
فكان عدة من اخذوا من الحلة الف ومائة اسير واقلعوا بهم من
ليلتهم في البحر وساروا يريدون الاسكندرية * قال ابن اسحاق
وكان ابو عبيدة قد استوطن طبرية وطابت له فسكنها لكثرة خيرها
واعتدال هوائها وكونها قريبة الاردن ومن دمشق ومن بلاد
السواحل فلما بلغ ابا عبيدة ان ضرار مريض ضاق صدره من اجله
لانه كان يحبه لكثرة دينه وعظم اجتهاده في الجهاد وكذلك المسلمون
كانوا له محبين فقال ابو عبيدة لابي هريرة ان ضرار مريض واريد
ان ابعث اليه برجل ياخذ لي خبره فقال ابو هريرة انا اكون ذلك
الرجل واراد ابو هريرة ايضا ان يزور قومه قال فسار ابو هريرة و
سار معه رجل اخر كان حليفا له من بجيلة اسمه محارب بن
ظاعن فسارا حتى وصلا الى موضع الحلة فوجدوا البيوت مطروحة
ورجالا قتلى ووجدوا اناسا من اهل الحلة جرحى قال وكان قدوم
ابي هريرة وحليفه صبيحة الكبسة فسالوا الجرحى من الذي دهاكم
وفعل بكم هذا فقالوا لا علم لنا بالقوم الذين وقعوا علينا من هم
ولا من اين اتوا وما شعرنا الا والسيوف قد اخذتنا واخذوا الحي
ومن فيه فقال ابو هريرة لا حول ولا قوة الا بالله العظيم العلي
اشهد ان الله على كل شيء قدير ثم سار ابو هريرة وحليفه حتى
وقفا على شاطئ البحر ونظروا فلم يروا شيئا فلما عولوا على الرجوع

و اذا بلوح قد اقبل والامواج تلعب به و اذا على اللوح شخص يلوح فوقفوا ساعة حتى قرب اللوح من الساحل والصق بالبر و نهض الرجل من اللوح الى البر فاقبل ابو هريرة وحليفه الى الرجل واذا هو امير دوس حيان بن عون وكان ابن عم ابي هريرة فلما راه ابو هريرة و عرفه ترجل له وعانقه و سلم عليه و قال يا ابن العم ما وراك قال صاحب الحديث فقال له ابن عمه يا صاحب رسول الله ان العدو هجم علينا ليلا و اخذنا اسرى و رمونا فى المراكب و ساروا بنا فى البحر فلما توسطنا اللجة بعث الله عزوجل على المراكب ريحا عاصفا فغرق من المراكب مركبين و ما كان فى المركبين من الاسرى غيري و البقايا من المشركين وكانوا جماعة كثيرة فغرقوا جميعا و ما نجا من المركبين غيري و سهل الله عزوجل علي بهذا اللوح لما يريد من نجاتي فركبته كما ترى حتى بلغت الى هنا فلربي الحمد و الشكر قال ابو هريرة يا ابن عمى ومن هذا العدو قال من قبط مصر واني سمعت من بعضهم ممن يعرف لغة العرب وهو يعرض بذكر الاسكندرية قال فترك ابو هريرة ابن عمه و حليفه عند المجروحين وامرهم بجمع الخيام والمضارب والمتاع وان يحملوا الاباعر والخيل والدواب ويحملوا المجروحين ويرتحلوا الى الرملة ورجع ابو هريرة مسرعا حتى وصل الى ابي عبيدة واقبل عليه وهو باك وحدثه بما جرى على الحلة واخبره بمن قتل واسر فاسترجع ابو عبيدة و قال لاحول و لاقوة الا بالله العلي العظيم انا لله وانا اليه راجعون اعوذ بالله من الافات الرديئة والله ان وصلوا الى الاسكندرية

لم يبق عليهم صاحبها طرفة عين ويموت ضرار. يمضي دمه هدرا

ثم كتب ابو عبيدة من وقته وساعته كتابا الى عمرو بن العاص

يخبره بما جرى على المسلمين من صاحب الاسكندرية وانه قد اسر

جماعة من المسلمين من دوس وبجيلة وكان ايضا نزيلهم ضرار

بن الازور لمرض لحقه واخته خولة معه فاذا وصل اليك كتابي

هذا فاجتهد في خلاصهم وان وقع في يدك من القبط ممن يعز

عليهم شانه فادي به وبعث بالكتاب مع زيد الخيل ابيض الركبان

فاخذ الكتاب وسار يريد مصر وكان زيد عارفا بطريق وقد دخلها

مرارا كثيرة في ايام ابي بكر الصديق فسار على طريق يعرفه وعجل

في مسيره حتى دخل مصر راجل على عمرو بن العاص وسلم عليه فرد

عليه السلام فناوله كتاب ابي عبيدة فاخذ عمرو وفضه وقراه

فلما علم ما فيه صعب عليه ذلك وكان يحب ضرارا حبا شديدا فبكا

واسترجع وكتب كتابا الى خالد بن الوليد يخبره بامر الاسرى

وضرار واخته خولة ويحثه على المسير الى الاسكندرية ان يجتهد

في خلاصهم قال وسار رسول عمرو بن العاص بكتابه يريد خالدا

فوجده قد رحل من دمياط وقد نزل بقرية الشجرة كما ذكرنا فاقبل

رسول عمرو بن العاص على خالد وسلم عليه وناوله كتاب عمرو بن

العاص ففضه خالد وقراه فلما علم ما فيه عظم عليه ذلك وضاق صدره

لاجل من اسر من المسلمين ولاجل ضرار واخته وبكا وقال لا حول ولا

قوة الا بالله العلي العظيم * قال صاحب الحديث حدثنا عاصم بن

منصور عن احمد المروزي عن سلمة قال اخبرنا عبد الله بن المبارك

قال اخبرنا سكين بن عبد العزيز عن ابيه قال لما اخذت حلة دوس وبجيلة وضرار واخته وغرق المركبان باعداء الله القبط ووصل الباقون الى الاسكندرية واخبروا الملك ارسطوليس بذلك فرح فرحا شديدا وامر باحضارهم فمثلوا بين يديه فهم الملك بقتلهم فقالوا اكابر دولته ايها الملك لا تعجل عليهم واعلم ان العرب متوجهة اليك ولا بد لنا من قتالهم فان اسرمنا احد ممن يعز علينا كان عندنا من نفادي به ولعلنا ايضا نصالح العرب بسببهم قال فاستصوب الملك رايهم وبعث بالاسرى الى دير يعرف بدير الزجاج ونفذ معهم الفي فارس من القبط يوصلونهم الى الدير قال وكان لخالد جواسيس من المعاهدين ياتونه بالاخبار من اي بلد كان وكانوا يتقدمون امامه ويعودون اليه بالاخبار وكان قد سبق منهم جماعة الى مدينة الاسكندرية فلما عاينوا الاسرى ووقفوا على خبرهم وراوا الملك قد امر بهم الى دير الزجاج خرجوا من الاسكندرية مسرعين يريدون خالد ليخبروه بهم فالتقوا به فى الطريق وهو سائر يريد الاسكندرية فعرفوه خبر الاسرى وان الملك قد بعث بهم الى دير الزجاج فلما علم خالد حقيقة الامر فرح فرحا شديدا وقال ارجو من الله تعالي ان يكون خلاصهم على يدي ثم قال لعسكره سيروا بنا وعجلوا لعلنا نصل الى الدير قبل وصول القبط بالاسرى لان خالدا كان الى الدير اقرب من الاسكندرية اليه فساروا مجدين حتى اشرفوا على الدير فلما وصلوا الى الدير وقفوا من حوله اشرف عليهم راهب كبير السن مليح الشيبة اسمه ميماح

قال صاحب الحديث ولقد بلغني ان هذا الراهب من تلاميذ لبحيرا فلما اشرف على خالد قال له خالد يا راهب كيف ترى الدنيا قال تخلق البدن وتجدد الامل وتقرب المنية وتقطع الامنية قال خالد ما حال اهلها قال من نال منها شيئا نغصته ومن فاته منها شيء حسرته قال خالد فما خير الاصحاب فيها قال العمل الصالح والتقى قال خالد فما شر الاصحاب فيها قال الراهب اتباع النفس والهوى قال خالد صدق رسول الله الحكمة ضالة المؤمن ياخذها حيث وجدها وكيف طابت لك الوحدة قال الراهب الفتها قال خالد نلت منها فايدة قال الراهب نعم الراحة من مداراة الناس قال خالد ما احسن هذا لوكان في دين الاسلام والتوحيد قال الراهب ما اعرف شيئا غيره قال خالد فما تقول في دين محمد بن عبد الله قال الراهب سيد الرسل وخاتم الانبياء وصفي الاصفياء وحجة الجبار على الكفار قال خالد فلم لا تكون في بلاد الاسلام اصلح لك من دونها قال الراهب قلبي ملوث بحب الدنيا الدنية وانشا يقول في معناها * شعر *

* حب الدنيا راس كل خطيئة * فاحذر ان تحب من الخطيئة راسها *
* كم جاهل جاءها يقبل ثغرها * لو يعلم ما بها ما داسها *

قال خالد ايها الراهب اعندك خبر من عرب اسرى تقدمهم الملك ارسطوليس اليك قال لا والله ولكن مر بي البارحة بطريق واسقف واستقوا من بئر هذا الدير وسالتهما من اين قدومهما فذكرا لي انهما اتوا رسلا من الملك كيماوش صاحب ارض برقا الى الملك

ارسطوليس يسالونه ان ينفذ لصاحبهم من اسارى العرب رجلا لينظر الى زيه ويستخبره عن دينه وقد اجابه الملك الى ذلك وارعد ان يبعث له باسيرين وقد رجعوا الى الملك بهذا الجواب واستسقوا من بئر ديري هذا ومضوا ولم يخبروني بشيء غير هذا ثم قال الراهب لخالد يا هذا لعلكم من المسلمين الذين فتحوا الشام قال خالد نعم نحن اياهم فقال الراهب ان اخباركم عندي يوما بعد يوم ولقد رايت نبيكم يوما وانا في دير بحيرا الراهب وقد اقبل في قافلة لقريش وهم يريدون الشام ورايت من معجزاته مارايت ثم ذكر له الشجرة التي جلس تحتها واخضرت لوقتها بعد يبسها ثم انه لما مات بحيرا انتقلت الى هذا الدير واعلم يا هذا (يقول الراهب لخالد) انه ما بقي بارض الكنايس ولا بارض العقبة ولا بارض الرمادة قس ولا راهب الا واتى الى زيارتي وسالني عن نبيكم وقالوا انت كنت على طريقه بدير بحيرا وقد رايته فاشرح لنا حاله وقص علينا صفته فشرحت لهم امر دينكم واخبرتهم بما رايت من معجزاته وجرى بيني وبينهم مجادلات وكلام وجرى ايضا بيني وبين مسار الراهب بالقرب مني مناظرة وقال لي ان النبي الذي بشر به المسيح عيسى بن مريم انه يظهر من الحجاز ويعرج به الى السماء ويخاطب ربه وما سمعنا ان هذا اعرج به الى السماء فقال خالد بلى والله عرج به الى السماء وخاطب ربه وقد اخبر الله عزوجل في كتابه العزيز اذ يقول عز من قايل سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ الاية

ثم قال خالد و لقد سمعت اباذر يقول سمعت رسول الله صلعم يقول لما اسري بي الى المسجد الاقصى و عرج بي الى السماء و بلغ بي جبريل الى سماء الدنيا فاستفتح فقال الملك الموكل به من هذا قال جبريل قال و من معك قال محمد قال ارسلت اليه قال نعم ففتح لوما فلما دخل بي الى السماء نظرت و اذا رجل جالس وعن يمينه اسود وعن يساره اسود واذا نظر عن يمينه ضحك واذا نظر عن شماله بكا ثم قال الرجل لجبريل من هذا معك قال جبريل هذا محمد قال مرحبا بالابن الصالح و النبي الصالح فقلت يا جبريل من هذا قال ابوک ادم تقدم وسلم عليه فتقدمت و سلمت عليه فرد علي السلام و هناني بما اعطاني الله من الكرامة فقلت يا جبريل فما هذا الاسود الذي عن يمينه قال هم السعداء من اولاده و الاسود الذي عن شماله الاشقياء من اولاده فالسعداء الى الجنة و الاشقياء الى النار قال صلعم ثم عرج بي الى السماء الثانية ولم يزل كذلك يعرج بي من سماء الى سماء الى ان بلغت الى السماء السابعة ثم انطلق بي الى سدرة المنتهى عندها جنة الماوى فدخلتها و رايت ما اعد الله تعالى فيها من النعيم لاهلها قال و ذكر خالد للراهب حديث المسرى و ما راى فيه رسول الله صلعم من العجايب فتعجب الراهب من خالد و ما تكلم به وعلم انه صادق و كلما تكلم به حق فاقبل عليه و قال يا اخا العرب ما اسمك قال اسمي خالد قال يا خالد اعلم ان في اعلى هذا الجبل دير يسمى دير المسيح و قد سكنه بطريق من بطارقة القبط وهو جبار عنيد

و عنده رجل مسلم من العرب قد اسره منذ زمان و قد بلغني انه من اصحاب نبيكم و انه جاء بتجارة الى مصر في ايام الملك المقوقس فباع تجارته ثم اشترى غيرها وانحدر من مصر الى الاسكندرية فباع ايضا و اشترى غيرها و انحدر يريد ارض برقا مع قافلة كبيرة فلما كانوا بالقرب من هذا الجبل خرج هذا البطريق بغلمانه على القافلة فانتهبها و اخذ مالها و احمالها و ترك اهلها فلما نظر الى صاحبكم و راى عليه زي العرب طمع فيه و اسره وهو عنده مربوط الى شجرة عند الدير و قد نبت العشب من دموعه و البطريق كل يوم لا ياكل ولا يشرب حتى يضربه و يقول له ليس لك من يدي خلاص الا ان رجعت عن دينك و تعود الى ديني و تقول ثالث ثلاث و قد بقي كانه الخلال و البطريق لا يفتر عن ضربه ولا يقل عن عذابه و الرجل يقول مناجيا لربه يا الله قد بذلت جسمي من اجلك فابذل رحمتك فاذا كف البطريق عن ضربه يا تيه من بعد ذلك بصورة من نحاس على راس الصورة عمامة سوداء و على صدر الصورة مكتوب هذا النبي العربي محمد ثم يشرب الخمر و يلقي فضلة كاسه على الصورة و يقول للرجل هذا نبيكم اساله ان يخلصك مني والمسلم يستجير بالله تعالى من كفره قال فلما سمع خالد ذلك من الراهب عظم عليه وغضب غضبا شديدا ثم انتدب من اصحابه شرحبيل بن حسنة وعامر بن ربيعة ويزيد بن ابى سفيان وهاشم بن سعيد و القعقاع والمقداد و رفاعة بن قيس و ثلثة رجال لم نقف على اسمائهم و ترك الجيش عند الدير و اوصاهم باليقظة الى ان

يعود وسار خالد بالعشرة وصعد الجبل فلما صار على ظهر الجبل
لاح له الدير والشجرة قال صاحب الحديث وكان البطريق قد خرج
ذلك اليوم لصيده فوقع على وحش من بقر الوحش فصاده واتى به
الى الدير فنزل تحت تلك الشجرة التي على باب الدير وامر غلمانه
بازالة جلد ذلك الوحش فلما زالوا جلده امرهم باضرام النار
فاضرمت وجعل يقطع من لحم ذلك الوحش ويشوي وياكل
ثم دعا بالخمرة فاتوه بها الى بين يديه فجعل يكرع منها حتى
استوثق سكرا ثم صاح بغلمانه وقال ائتوا المحمدي فجاوا به
غلمانه وقد ركبه الذل وفي عنقه غل من الحديد فقال له
البطريق غلبتني يا مسلم بمحمدك فوحق ديني ما ارفع عنك
العقوبة حتى ترجع الى ديني وتقول ثالث ثلاث والا انا قاتلك
فقال الرجل المسلم اصنع مالك فاني اعلم ان الاشياء بارادته
ومشيئته والعباد في قبضته والسموات مرفوعات بقدرته والارض
مبسوطة بحكمته وجوده في خلقه بعلمه وعلمه بالاشياء محيط له
في خلقه تدبير ليس له نظير له الملك ليس له وزير قال فلما سمع
البطريق كلام المسلم وتوحيده وتعظيمه لله تعالى غضب غضبا شديدا
وقبض على سيفه وهم ان يسلبه من غمده ويضرب به المسلم واذا
بخالد واصحابه العشرة قد اقبلوا عليه وهو قابض على سيفه فصاح
به خالد بن الوليد خل يا عدو الله عن ولي الله الله اكبر الله اكبر
فتح الله ونصر وحيانا بالظفر ومكن سيوفنا من رقاب من كفر وهجم
خالد على البطريق فلما نظر البطريق الى من هاجمه نهض قائما على

قد منه واشهر سيفه واراد ان يهجم على خالد فاستقبله خالد بقناته وطعنه طعنة في صدره اطلع السنان يلمع من ظهره وهجموا الصحابة على غلمان البطريق فقتلوهم جميعا ونزل خالد واصحابه على العين يريدون محاصرة الدير فاقبلوا عليهم الرهبان وقالوا نحن قوم رهبان وما نحن من اصحاب القتال فنقاتلكم ونبيكم قد نهاكم عن قتل الرهبان فقال خالد سلموا الينا ما لهذا البطريق عندكم من مال واثاث وعيال وانتم منا في امان الله ولا نعارضكم قالوا سمعا وطاعة نحن نفعل ذلك ثم انهم اخرجوا مال البطريق واثاثه وعياله واولاده فاخذ خالد الجميع واقبل الى الاسير وحل عنه غله وقيده وقال له من انت من العرب قال انا امية بن حاتم الطائي اسرت في اخر ايام خلافة ابي بكر الصديق وذلك اني وصلت الى الاسكندرية ببضاعتي فبعتها وتعوضت عوضها وخرجت من الاسكندرية ببضاعتي اريد ارض برقا مع جماعة من تجار فخرج علينا هذا البطريق وانتهب اموالنا واطلق تجار القافلة وما اسر منهم غيري لانه لم يكن فيهم عربي غيري وكان امر الله مفعولا قال فهنوه المسلمون بالسلامة وبشروه من الله عز وجل بالكرامة وعطف خالد واصحابه راجعا يريدون دير الراهب ومال البطريق واثاثه وحريمه على خيله ودوابه بين ايديهم ولم يزالوا سائرين حتى انحدروا من الجبل واشرفوا على الدير واصحابهم فلما راوا المسلمون خالدا قد اقبل عليهم باصحابه ومال البطريق وحريمه واولاده بين ايديهم فرحوا بسلامتهم ورفعوا اصواتهم بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير صلى الله عليه

وسلم واستقبلوا خالدا واصحابه وسلموا عليهم وهنوا الامير بالسلامة والخلاص وفرح الراهب ايضا بذلك وسر سرورا عظيما بخلاص الامير وهلاك البطريق قال صاحب الحديث فبينما خالد يحدث الراهب بما جرى له مع البطريق والراهب متطلع عليه فى كلامه واذا بصهيل الخيل وقعقعة اللجم وصياح النسوان وضجيج الاطفال وانين الرجال (والقبط يصيحون عليهم من خلفهم ومن بين ايديهم) وسمع الفرسان وهفيف الرايات والصلبان والابكار ينادين بالذل والهوان وخولة ابنة الازور فى اوائل الاسرى واثرها بين يديها يسير فى ذل الاسر وهي تبكي وتقول هذه الابيات * شعر *

هل المصاب فعم الويل والحرب * والعين باكية والدمع منسكب
وقادت الارض مما قد رميت به * حتى توهمت ان الارض تنقلب
جارت بنا القبط فينا عند غفلتنا * واستحكموا القبط لما ذلت العرب
لهفي على بطل قد كان عدتنا * فيه العفاف وفيه الدين والادب
قد كان ناصرنا فى وقت شدتنا * اعنى ضرار الذي للحرب ينتدب
فيه الحمية والاحسان عادته * فيه التعصب والاحسان والحسب
لوكان يقدر ان يرقا مراكبه * كان العدو بنار الحرب يلتهب
اوكان خالد فينا حاضرا لشفا * وزال عنا الذي نشكوا وننتحب
اوكان يسمع صوتي صاح بي عجلا * مهلا فقد زال عنك البؤس والعطب

قال الراوي فما فرغت خولة بنت الازور من شعرها الا وخالد قد سمع نشيدها وندائها فاجابها يقول لبيك لبيك قد جاءك الفرج وذهب عنك البؤس والحرج ها انا خالد بن الوليد وكبر وحمل وحملوا

المسلمون على القبط و مالوا عليهم بالسيوف المشرفيات و الرماح
الخطيات و صهلت الخيل العربيات فتاهت عقول القبط وارتجفت
قلوبهم و اخذهم الانبهار و فلقت رؤسهم سيوف الصحابة الابرار فما
كان غير بعيد حتى قتلوا من القبط سبعماية رجل و اسروا الف و
ثلثماية رجل و اخذوا المسلمون خيلهم وسلاحهم و اسلابهم وخلصوا
المسلمين الاسرى وسلم بعضهم على بعض وهنوهم بالسلامة والخلاص
و هنوا ضرار بخلاصه و اقبل ضرار الى خالد وسلم عليه وشكر له فعله
فرحب به خالد واكرمه وهناه بالسلامة والخلاص واعطى خالد لكل
رجل من الاسرى المسلمين فرسا من خيل القبط وسلاح رجل و باقي
خيل القبط حمل عليها النساء والاولاد والاسلاب وودع خالد للراهب
بعد ان كتب له كتابا بكل ما يحتاج اليه من طعام وادام و ملبوس
و لكل من يسكن عنده في ديره ويكون ذلك من الاسكندرية
مرتبا له على ممر الايام مادام الزمان وسار خالد بجيوشه والاسرى
مقرنين بين يديه في الحبال حتى وصل الى الاسكندرية و نزل
عليها بجيشه قال صاحب الحديث فلما نزل خالد بجيشه على
الاسكندرية ضاق صدر الملك ارسطوليس لذلك وامر حجابه ان ينادوا
في عسكره باخذ الاهبة و الركوب و الخروج الى باب السدرة في
مقابلة العرب ووقع الصياح في المدينة بقدوم العرب و نزولهم على
المدينة فارتجفت قلوب اهلها و اقبلت امراء القبط و الحجاب الى
الملك ارسطوليس و قالوا ايها الملك ما الذي تراه من الراي في امر
هولاء العرب قال وما عسى ان اري من الراي و ادبر و انتم قد

جللكم الخوف و قد سكن فزعهم بقلوبكم و قد طمعوا في ملككم لقلة اجتهادكم و قد استدلوكم وعلموا انكم لا تحامون عن بلادكم ولا تقاتلون عن حريمكم و اولادكم وان قاتلتم كانت اهواؤكم متفرقة و اراؤكم غير متفقة لا جرم انهم ابادوا حماتكم و قتلوا ابطالكم ولم يرهبوا قتالكم و هاهم قد نزلوا بساحتكم و نزلوا على مدينتكم وهم معولون على حربكم ولا مانع يمنعهم ولولا ان اصحابهم الذين اسرناهم وبعثنا بهم الى دير الزجاج عندي لكنت صالحتهم بسببهم ودفعناهم عنا وقد فرطت ايضا في الالفين الذين بعثت بهم معهم فلو كانوا عندنا لقاتلنا بهم بهم حسب طاقتنا فقال وزيره ايها الملك هل لك ان تنفذ اليهم رسولا يتحدث معهم في امر الصلح وانا نسلم اليهم اسراهم الذين بايدينا فقال الملك ان هولاء العرب ما بقوا يامنون الينا ولا يقبلون منا رسولا منذ نصبنا عليهم وهم نزول بحير الحصا قال الوزير فما يضر الملك ان يبعث اليهم رسولا قال فهم الملك ان ينفذ لهم رسولا وهو يشاور نفسه في ذلك انه يصالحهم ويسلم اليهم اصحابهم الذين نفذهم الى دير الزجاج اذ اقبل اليه اصحاب حرس البحر الموكلون بالمنار واخبروه ان مركبا قد ظهر من نحو الغرب وما نعلم ما خبره ولا من اين قدم قال فلما سمع الملك ذلك من اهل الحرس ترك ما كان قد عزم عليه من انفاذ الرسول وباهب لقدوم المركب وقد ظن في نفسه ان المركب من صاحب برقا الملك كيماوش قال فما كان غير بعيد حتى ارسى المركب في الميناء و نزل منه شيخ من الانسة مليح الشيبة ظاهر الهيبة

عليه ثياب من الصوف الاسود وعلى راسه عمامة حمراء و نزل معه عشرة رجال من القسوس و الرهبان فلما نزلوا من المركب جاءتهم الخيول من الملك بالسروج المذهبة المرصعة بفصوص الجوهر و اللجم المحلاة بالذهب فركبوا و خرج الى لقايهم الامراء و الحجاب و اقبلوا عليهم و بجلوا بقدرهم و عظموا شانهم و ساروا بين ايديهم الى قصر الملك ونزلوا هناك و اقاموا يومهم وليلتهم و اقبلت اليهم الضيافات و الخيرات من عند الملك و باتوا تلك الليلة فى اسر حال فلما اصبح الصباح من يومهم الثاني ركبوا وخرجوا الى العسكر و اقبلوا الى سرادق الملك ارسطوليس ونزلوا عن الخيل ودخلوا على الملك فقام لهم و عظم شانهم واعلى مكانهم و اجلسهم معه على سريره * قال محمد بن اسحاق و لقد بلغني عن الرواة الثقاة ان الملك ارسطولس بن المقوقس كان قد نفذ هدية سنية للملك كيمارش صاحب ارض برقا الى حدود ارض قرطجانة وهي جزاير فى بحر اليمن وكيمارش ملكها وكان ملكا كبيرا كثير الجند و العساكر وكان قد ولي ولده افلاغورس على خزاين قرطجانة قال وكانت جيوشه مايتي الف من الروم فلما نفذ ارسطوليس لهما الهدية بعث لهما ايضا كتابا مع الهدية يخوفهم من العرب و يقول فيه * ايها الملك ان الدنيا دار زوال وانتقال وما وهبت شيئا الا واستردته و لا افرحت اهلا الا واحزنته و لا نصرت ملكا الا وخذلته فالمغرور من تشبث بذيل غرورها و اطمأن اليها و السعيد من لبس لها ثياب الحذر وعمل للدار الاخرة والمستقر اما ترى ايها الملك المعظم فليطس يعني

هرقل صاحب الشام وارض سورية الى بلاد القسطنطينية كيف زال ملكه وخلت منه بلاده واحتجب عنه غلمانه واجناده وذلك بعد ما رمته الدنيا بمصايبها ورشقته بسهام نكايتها بعد ان كانت الدنيا في وجهه تبش وتشرق وخانته حتى دهمته الاعداء ونزل به البؤس والرداء بعد الجناب الذي يحبا به الكرم والحشمة التي يجلي بمحاسنها الشيم لقد مادت الارض تحت قدميه وصارت الافلاك تنقاد اليه فاذ رات الارض منه بشاشة اعشبت وان احست منه بجفوة اجدبت لقد كان خيله العزمات والاوهام وانصاره الليالي والايام فمن ذا يدافع قضاء من تبرجت البروج لعبادته وتكونت الكواكب لهيبته الذي لو شاء عقد الهوى وجسم الماء وفصل تراكيب السماء والف بين النار والماء وكف نور ضياء الشمس والقمر وكفاهما عن التسيير والسهر الذي لو شاء سد منافس الرياح والزوازع واطلق اجفان البروق اللوامع وانبت العشب على البحار والبس الليل ضوء النهار واعلم ايها الملك انما ضربت لك هذه الامثال الا لاعلمك ان الدنيا مصيرها للزوال وهولاء الحمديون قد استولوا على البلاد واذلوا بسيوفهم العباد وحطموا العساكر والاجناد واقاموا دينهم بالسيوف الحداد وقد ملكوا الشام من القياصرة وقد جاءت طايفة منهم الينا وقد ملكوا بعض بلادنا وحكموا فيها وينازعونا في ما بقي لنا منها ويجهدون في اخراجنا منها والان فاذا فرغوا منا لاغناء لهم عنكم والصواب ان تشمر لهم عن ساق الهمم وتنصرنا برجال منك على من طغى وظلم وتنجدنا فنحن جيرانك وكلنا

جندك واعوانك * قال الراوي ولما وصلت الهدية والكتاب الى الملك كيمارش قراه على ارباب دولته وقال ما تقولون فيما سمعتم في كتاب ارسطوليس وما الذي ترون من الراي فقالوا ايها الملك ما برحت الملوك تستنصر بالملوك والذي اشار به صاحب الاسكندرية هو الصواب واعلم ان العرب اذا ملكت ملك القبط لا بد لهم منا والغزو الى بلادنا فابعث لهم نجدة منا تساعدهم على عدوهم والمسيح ينصرنا قال فلما سمع الملك كيمارش قول امرائه استصوب رائهم وخلع الملك على اخيه اصطفانوس وجرد معه اربعة الاف فارس وامره بالمسير الى مساعدة صاحب الاسكندرية ثم بعث كيمارش خادمه خلف البطرك الكبير الذي هو عالم بدينهم والقائم بشرعهم سطيس فكان مقامه بدير يعرف بدير الكنايس وكان لهذا البطرك من العمر ماية وعشرون سنة وكان تلميذا لزبروشا و زبروشا تلميذ امرقش ومرقش تلميذ لبحنا ويحنا الدبلمي اخو حواري المسيح عيسى بن مريم وكان هذا البطرك سطيس قد قرا العلوم وطالع الكتب وهو مؤمن بالله تعالى وكان عارفا بصفات رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يرصده ويتسمع اخباره ويترقب ايام بعثته يستخبر عن آياته ومعجزاته فلما بلغه انه بعث صلعم وظهرت اياته ومعجزاته آمن به وكان يروم ان يتوصل اليه صلعم فما لبث الا قليلا حتى بلغه وفاة رسول الله صلعم فبكا لموته ولزم زاوية الحزن ولم يظهر لاحد من قومه سنة كاملة ولولا انه مشتغل بالعبادة لما خرج ولا ظهر ثم بني له صومعة على قارعة الطريق فكان

فكلما مر به قافلة يستخبرها عن جيوش المسلمين و باي ارض هم
و يسال عن الخليفة من هو من بعد رسول الله فقيل له ابوبكر
الصديق فلما توفي ابو بكر بلغه الخبر بوفاته و ولاية عمر بن الخطاب
من بعده ثم انه بلغه الخبر بفتوح الشام و مسير الصحابة الى مصر
فلما كانت هذه النوبة بعثه الملك كيماوش صاحب ارض برقا في
مركب الى الملك ارسطوليس مبشرا بقدوم النجدة مع اصطفانوس
اخي الملك كيماوش باربعة الاف فارس وعن قريب يكونون عندك *
قال صاحب الحديث ورجعنا الى ما كنا عليه من الحديث فلما
حضر سطيس بين يدي الملك ارسطوليس و اخبره بذلك ففرح
واستبشر وقال له يا ابانا اريد من انعامك ان تسير الى هولاء
العرب برسالتي وتجس لي خبرهم وتنظر ما عندهم وما هم عازمون
عليه فان كان غرضهم القتال او الصلح فان كان غرضهم الصلح ففي
يدي منهم اسرى و هم جماعة كثيرة وقد نفذنا بهم
الى دير الزجاج فان صالحونا سلمناهم اليهم واعطيناهم شيئا من
اموالنا و عقدنا معهم عقدا واحدا واخذنا عليهم عهدا ان
لا يرجعوا الينا و لا يتعرضوا لنا فقال البطرك امرك الذي تامر
به نفعل ولكن ايها الملك اعلم اني قرأت في الكتب و سمعت من
الاحبار الماضية ان الله عزوجل يبعث في اخر الزمان نبيا عربيا من
ارض تهامه وانه تعرض عليه كنوز الارض جميعها فلا يلتفت اليها
ويختار الفقر على الغنى وان اصحابه ايضا يتبعون سبيله ويقومون
بسننه وقد اردت ايها الملك ان اختبر حالهم قبل مسيري اليهم

قال وبما ذا تختبرهم قال ايها الملك تامر غلاما من غلمانك ان يسرج بغلة من خيار مراكبك بافخر ما يكون من السروج والعدة ويزينها بقلايد من انواع الجواهر واليواقيت ويطلقها نحو عسكرهم فان اخذوها فتعلم انهم يريدون الدنيا وان قتالهم عليها ولا يطلبون الاخرة وان هم ردوها عليكم فتعلم انهم يطلبون الاخرة وما عند الله عز وجل قال فامر الملك سياسه ان يشدوا بغلة من خيار مراكبه بسرج من الذهب مرصعا بفصوص الياقوت والجوهر ويلجموها بلجام من الذهب ويقلدوها بقلايد من الدر وان يرسلوها الى نحو عسكر المسلمين ففعلوا ذلك قال وكان على حرس المسلمين يومئذ شرحبيل بن حسنة كاتب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قربت البغلة من عسكر المسلمين ونظر اليها شرحبيل بن حسنة وراى ما عليها من الحلي والجواهر تبسم ضاحكا وقال ان اعداء الله يريدون بذلك اختبارنا ان كنا نريد الدنيا او الاخرة والله ما منا من يميل الى ما يفني وما بغيتنا الا فيما يبقي ثم قرا اعلموا انما الحيوة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد الى اخر الاية ثم مسك بعنان البغلة وجاء بها الى عسكر القبط ثم ارسلها قال فلما نظر الملك الى ذلك صلب على وجهه وقال والله بهذا نصروا وخذلنا ولقد كان ابي على بصيرة منهم ثم امر البطرك عطيس بالمسير اليهم قال فسار البطرك راجلا نحو عسكر المسلمين فلما قرب منهم اقبل اليه شرحبيل بن حسنة وساله عن امره فقال انا رسول الملك ارسطوليس الى امير العرب فاخذه شرحبيل وساربه

في العسكر يريد خيمة خالد بن الوليد قال فلما دخل البطرك سطيس مع شرحبيل في وسط عسكر المسلمين جعل ينظر الى العرب وهم جلوس فرأى قوما قد هجروا الدنيا منهم القاري ومنهم الذاكر ومنهم المصلي ورأى عليهم السكينة والوقار والانوار لائحة عليهم فلما وصل الى خيمة خالد استأذن له شرحبيل فاذن له خالد بالدخول فلما دخل على خالد في مضربه وجده جالسا على التراب وليس له حاجب ولا بواب وبين يديه جماعة من اصحابه فسلم عليهم سطيس وقال ايكم الامير فردوا عليه السلام واشاروا الى خالد فقال البطرك انت امير هولاء القوم قال خالد كذلك يزعمون بانى اميرهم ما دمت على الحق واتباع العدل في الحكم والانصاف والخوف من الله تعالى محسنا للمحسن منهم مشددا على المسيء فمتى خرجت عن هذه الاشياء فلا امرة لي عليهم فقال البطرك انتم والله القوم الذي بشر بنبيكم المسيح ابن البتول وان الحق معكم لا يفارقكم قال فامره خالد بالجلوس فجلس فلما جلس قال يا معاشر العرب خبروني عن نبيكم وعرفوني بحسبه ونسبه قال خالد ان الله عز وجل اختار من ولد ادم العرب واختار من العرب مضر واختار من مضر كنانة واختار من كنانة قريش واختار من قريش هاشما واختار من هاشم عبد المطلب واختار من عبد المطلب عبد الله ومن عبد الله محمدا رسول الله ثم قال خالد ولقد سئل رسول الله عن نبوته قال كنت نبيا وادم بين الماء والطين وقال لما خلق الله تعالى العرش كتب على ساق

العرش لا اله الا الله محمد رسول الله فلما وقع ادم فى الذلة واخرج من الجنة راى مكتوبا على ساق العرش لا اله الا الله محمد رسول الله فقال ادم يا رب من هذا محمد قال ولدك يا ادم الذى لولاه ما خلقتك قال ادم يا رب بحرمة هذا الولد ارحم الوالد قال الله عز وجل يا ادم لو تشفعت الينا بمحمد في اهل السموات والارض لشفعناك ثم ان الله عز وجل جعل اسمه مقرونا باسمه وذكره مع ذكره وسمه بما وسم به نفسه فقال إِنَّ اللّٰهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ وقال فى حقه بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ وقال عز من قايل مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللّٰهَ وقال ايضا عز من قايل في حقه يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وان الله عز وجل رفع ذكره وعظم فخره واعز امره فقال جل وعلا وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ وهذه غاية الشرف والتعظيم والتبجيل والتكريم وقال عز من قايل (يا محمد لا اذكر او تذكر ولا اعرف او تعرف ومن سبك فقد سبني ومن جحدك فقد جحدني ومن انكر نبوتك فما عرفني وانا اقسم بنبوتك ان جحدت وخالفوك عليها) وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَىٰ بِاللّٰهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وقال تعالى عز من قايل وَكَفَىٰ بِاللّٰهِ شَهِيدًا مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللّٰهِ قال فلما سمع البطرك ذلك من خالد فرح وقال والله لقد نجا من اتبعه وخسر من فارقه ثم جدد اسلامه على يد خالد وحدثه بامره من اوله الى اخره وكيف امن بالله وصدق برسالة رسول الله ففرح خالد باسلامه والمسلمون وقال خالد فيما اتيت به من عند الملك ارسطوليس فحدث لخالد

بما كان من امر الملك ارسطوليس وهديته وكتابه الى صاحب برقا يطلب منه نجدة ويحذره ايضا منكم وقد بعث له الملك كيماوش باخيه اصطفانوس في اربعة الاف فارس نجدة واني سبقته في البحر الى الملك ارسطوليس اخبره بذلك وقد بعثني ارسطوليس اليكم رسولا يريد صلحكم ولا يبغي قتالكم وقال تصالحوه على ان يعطيكم شيئا من المال ويسلم اليكم قوما من العرب في اسره اخذهم من ساحل البحر بالشام فقال خالد اما اصحابنا فقد فك الله تعالى اسرهم وجمع بيننا وبينهم ونصرنا على اصحابه القبط فقتلنا منهم سبعماية فارس واسرنا الفا وثلثماية رجل ثم امر خالد باعراضهم على البطارك فاعرضوا عليه ثم اعرض عليهم خالد الاسلام فابى اكثرهم فمن اسلم تركه واحسن اليه ومن ابى الاسلام امر بضرب عنقه قال وان البطارك سلم على خالد والمسلمين وعاد الى الملك ارسطوليس وقال اعلم ايها الملك ان هولاء القوم لا يملك ايثارهم وانهم حذرون ثم عرفه بقصة اصحابه وخلاص الاسرى التي بعث بهم الى دير الزجاج قال فلما سمع الملك ذلك من البطارك سقط ما كان بيده وايقن بذهاب ملكه وقال لارباب دولته خلوا على انفسكم للقاء هولاء العرب فكانكم بعسكر الملك كيماوش صاحب برقا وقد قدم عليكم فقاتلوا بقلوب قوية واسرار نقية والمسيح ينصركم قال وبات الملك تلك الليلة على نية الملتقاء وقد عزم على حرب اصحاب رسول الله صلعم قال ابن اسحاق ولقد بلغني ان الملك ارسطوليس بات بقية ليله وهو مهموم فلما غرق في بحر المنام

و غمضت جفونه رای في منامه قد اقبل عليه رجل اشقر بهي الصورة مريض الصدر و معه رجل اخر ظاهر الوضاءة كثير الانوار مليح الوجه حسن الخلق له نور يعلو عليه الهيبة و الوقار فقال الرجل الاشقر لارسطوليس ايها الملك انا المسيح عيسى بن مريم وهذا الذي الى جانبي هو النبي العربي الذي بشرت به قبل مبعثه محمد العربي سيد الرسل وخاتم الانبياء فمن امن به فقد اهتدى ومن جحد بنبوته فقد ضل و غوى و قد جئنا لننصر اصحابه ومقامنا في القبة التي على البرج قال وكانت القبة على برج عال مما يلي الباب الاخضر الى نحو البحر) فان كنت من امتي فآمن به و برسالته قال صاحب الحديث وكان الاسكندر لما بنا الاسكندرية سماها اسمه فلما بنا هذا البرج نقل عليه هذه القبة وكان الخضر يسكنها وبنا الباب و سماه الباب الاخضر حيث كان في اصل البرج وكان الخضر ياوي اليه وذلك الباب مشهور الى يوم القيامة قال فلما قال عيسى للملك ذلك انصرفا جميعا قال فاستيقظ الملك من نومه و هو مرعوب من الروياء فلما اصبح الملك اقبل على امرائه و حجابه واكابر دولته وحدثهم بما راى في نومه فقالوا ايها الملك اضغاث احلام وما كان المسيح ممن يماشي النبي العربي و هو عدوه قال فاصغى الملك الى كلامهم وركب وضربت كوساته و نعرت بوقاته ونشرت اعلامه ورياته وركبت عساكره و ترتبت صفوفا قال فلما نظروا المسلمون الى عساكر القبط و قد ركبت و ترتبت صفوفا اخذوا اهبتهم وركبوا ايضا و ترتبوا صفوفا و جعل خالد يطوف عليهم و يرتبهم و يعظهم و يحرصهم على

الجواد قال وكان مصافهم مما يلي الباب الاخضر والبحر قال ووقف الملك ارسطوليس تحت صليبه وجعل ينظر الى القبة واذا النور يلوح عليها ويسطع فدخل الوهم في قلب الملك من اجل تلك الرؤيا التي راها في النوم وقال والله ان الذي رايته في نومي حق ولا شك فيه قال ابن اسحاق حدثني عامر بن بشر عن الاحوص السكاسكي قال كنت في خيل خالد بن الوليد يوم قتالنا على الاسكندرية قال فلما وقفنا في مقام الحرب واستوت صفوف الجيشين ونحن قد عزمنا على الحملة اذ خرج الينا من عسكر القبط بطريق عظيم الخلق وعليه درع مصفح بصفائح الذهب مرصع بانواع فصوص الجوهر على جواد من خيار خيول العرب بكامل السلاح فلما وقف بين الصفين نادى بلسان فصيح عربي وقال يا معاشر العرب انصرفوا عنا فانا لا نريد قتالكم فقد ملكتم منا مصر والصعيد واكثر الريف وقد بقي لنا من ما ملكنا اقله وقد ملكتم اكثره ولسنا ننازعكم فيما اخذتم منا ونحن نقدكم البقي فان صالحتمونا صالحناكم صلحا يعود علينا وعليكم صلاحه واعدلوا فينا ولا تجوروا علينا في الصلح فان ابيتم ذلك لقيناكم باسرار نقية ونارب قوية ونردكم على اعقابكم منهزمين وفي اذيال ذلكم هاربين لانه ما عاند اهل هذا الدين اهل الاذل وانهزم لاننا قوم لنا الكنايس والصوامع والبيع والقسوس والرهبان والانجيل والقربان والمذابح والصلبان فما عندكم معاشر العرب من الجواب قال صاحب الحديث وكان المتكلم بهذا الملك ارسطوليس ابن الملك المقوقس قال فما فرغ من كلامه

حتى برز اليه شرحبيل بن حسنة كاتب رسول الله صلعم واجابه شرحبيل و قال يا ويلك لقد افتخرت بما يرديك الى البوار و يعقبك سوء الدار ويلك اتفتخر علينا بالكفر والطغيان وعبادة الصلبان والشرك بالرحمن ونحن اولو التقية والايمان والفوز و الرضوان والقبلة والقرآن و الحج و الاحرام و الصلاة والصيام ديننا افضل الاديان ونبينا المبعوث بالمعجزت والبيان والايات و البرهان المنزل عليه القرآن من اتبعه نال الغفران ومن نكل عن حجته باء بغضب من الديان الذي كان ولامكان (له) ولا دهر ولازمان شهد لنفسه بالربوبية ولصفاته بالازلية ولذاته بالاحدية ولملكه بالابدية وسلطانه ظاهر وتدبيره محكم وقضاؤه مبرم عرشه رفيع وصنعه بديع ليس بوالد ولا مولود ولا لذاته حد محدود ولا لبقائه اجل معدود خضعت الاعناق لعظمته وخشعت الملوك لهيبته وعنت الوجوه لعزته وذلت الاقوياء لقوته لايحصى كماله ولا يفني نواله ولا تبيد افضاله يا ويلكم كيف طاب لكم الكفر بالوهيته والاشراك بربوبيته وان تجعلوا لله ولدا في وحدانيته ثم قرا « يَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ » ثم قال شرحبيل ان لله عبادا اذا اقسموا عليه ان يدكدك لهم هذا السور لفعل و اشار بيده الى سور المدينة فلطى السور بالارض وظهرت المنازل والديار قال فارتعدت فرايص الملك عند ما عاين ذلك من عظيم القدرة ثم الوى راس جواده نحو عسكره والافئدة منه قد طارت والقبط من عظيم ما رات قد خافت وحارت القبط ورجعوا الى

خيامهم ولم يتعرضوا لقتال وكذلك المسلمين رجعوا الى خيامهم وانقضى النهار فلما كان الليل اخذ الملك خزاينه وما يعز عليه وحرمه وحواريه وركب فى المراكب وسار من ليلته يريد جزيرة اقريطش فلما اصبح الصباح وقع الصياح فى المدينة بهروب الملك قال واجتمع الكبراء منهم بعضهم الى بعض وقالوا ان الملك قد ولى وسار عنا فما لنا اليوم من يدافع عنا وقد امسكوا القوم عنا ولو ارادوا الدخول الينا لدخلوا علينا لكنهم قوم قد اسكن الله الرحمة في قلوبهم فاخرجوا الان بنا اليهم لناخذ لنا منهم عهدا وذماما ونصالحهم على بلادنا ونصون حريمنا واولادنا على ما يقع الاتفاق منهم ومنا قال فاتفقوا الاكابر على ذلك وخرجوا الى عسكر المسلمين وطلبوا الحضور بين يدي الامير خالد بن الوليد فاستاذنوا عليه فاذن لهم فدخلوا عليه فلما وقفوا بين يديه سلم عليه من كان يعرف بلسان العرب فرد عليهم خالد السلام وسالهم عن سبب قدومهم وقال ما الذي تريدون قال فتقدم اليه من الاكابر من كان يعرف بلغة العرب وقالوا ايها الامير ان الله تعالى قد نصركم علينا بصدق قلوبكم وصفاء نياتكم لانكم قوم قد اسكن الله الرحمة في قلوبكم وانا نريد منكم ان تعاملونا بالصدقة وتنظروا الينا بعين الرافة وتحكموا فينا بالعدل سنة من كان قبلكم معنا من الروم فقال خالد نعم نحن قوم قد اسكن الله الرحمة بقلوبنا ونصرنا بهما لم يزل دينا وابدا على اعدائنا ونحن نجريكم على ما جرت به عوايدنا مع ساير من فتحنا بلادهم والان فانا لو اردنا ان ندخل مدينتكم بالسيف

لفعلنا وهان علينا ذلك ولكن خير الناس من قدر وعفا والان فا
نريد منكم على صلحكم ماية الف دينار من اطيب اموالكم صلحا عن
انفسكم واهاليكم وحريمكم واولادكم وبعد ذلك ندعوكم الى الاسلام
وتوحيد الله تعالى والتصديق بشريعة رسول الله صلعم فمن
اجاب منكم كان له مالنا وعليه ما علينا ومن ابا الاسلام منكم اخذنا
منه الجزية من السنة القابلة عن كل راس منكم ومن غلام بلغ الحكم
اربعة دنانير ونشرط عليكم شروطا تقبلونها ان لا تركبوا دابة ولا
تعلوا دوركم على دور المسلمين ولا ترفعوا اصواتكم عليهم ولا تبنوا
في الاسلام بيعة ولا ديرا ولا تجددوا ما اندثر من رسوم دينكم
وشريعتكم وتلقوا المسلمين بالتذلل والخضوع وتسارعوا الى قضاء
حوائجهم وما يريدون من اصلاح شانهم وتعظموا الاسلام واهله
ومن اذنب منكم ذنبا حددناه ومن ارتد عن قولنا قتلناه وتشدوا
الزنانير على اوساطكم اظهارا لدينكم وعرفا بطاعتكم ولا تضربوا
ناقوسا ولا ترفعوا صليبا ولا تظاهروا بين المسلمين بشيء من امور
دينكم وكفركم واذا صليتم في بيعكم لا ترفعوا اصواتكم بقراءة
انجيلكم فقالوا ايها الامير انه صعب علينا ترك ديننا وما كان عليه
اباؤنا من قبل فتبسم خالد من قولهم ثم قرا وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا
مَا أَنْزَلَ اللهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ
يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ فقالوا ايها الامير قد اجبناك الى
كل ما قلت ونريد منك ان تولى علينا رجلا من اصحابك حتى
يجمع المال الذي طلبت منا فقال خالد انا لا نعلم بامور اصحابكم

ولا نعرف القادر منهم ولا الضعيف فانظروا من اكابركم من تختارونه عليكم بجمع المال فوله عليكم ويكون معه رجل من اصحابنا مساعدا له على ذلك قالوا نعم قال فاشاروا القوم الى رجل ريس من اكابرهم اسمه شعيا بن شامس وكان مقدما في القبط فولوه عليهم بامر خالد وندب معه رجلا من اصحابه يقال له قيس بن سعد وامرهما بجمع المال وقال لهم من كان معسرا ضعيفا فاتركوه وخذوا من كل رجل ما يحتمل حاله واحسنوا ان الله يحب المحسنين ولا تظلموا فقيرا ولا ارملة ولا يتيما قال ودخلوا المدينة واقبلوا يجمعون المال فكانوا ياخذون من كل رجل ما يحتمل حاله ومن كان معسرا ضعيفا يتركه قيس بن سعد كما امره خالد قال الراوي حدثني جرير بن عاصم قال اخبرنا نعيم بن موسى المازني قال حدثنا سليمان بن عوف عن جده مازن بن شيث قال كنت حين دخل شعيا بن شامس وقيس بن سعد المدينة ليجبوا المال واجتمعوا في قصر المقوقس مما يلي باب رشيد وبعث شعيا بن شامس غلمانه يجمعون المال وكنت حاضرا عندهم وقد قسطوا المال على اهل المدينة فكان اكبرهم في الحشمة واعزهم مالا يزن عشرة قراريط واوسطهم مالا قيراطين اذ اتوا برجل من اصحابهم اسمه بولس بن مقوقس لا يدري احد ما يملك من المال والنعم والملك وكان ابخل اهل زمانه فقال له ريس القوم المتولي على الجباية شعيا بن شامس قد وجب عليك من هذا القسط دينار فقال وحق المسيح ما كنت بالذي اؤديه ولو مت وان صدتني على البيعة افضل

من عطيتي العرب فقال له قيس بن سعد ياويلك ان الذي تاخذ
منك حلال لا حرام ياويلك احسب انا دخلنا مدينتكم عنوة بالسيف
الست كنت مقتولا ومالك اول منهوب فقال شعيا بن شامس
للبطريق خزاك الله ولعنك كل من بالاسكندرية يعلم انك كنت
صعلوكا لاتقدر على شئ من امور الدنيا وقد اتاك الله من فضله
ووسع عليك من رزقه فقال الملعون اليس قد ورثته عن اباء كرام
واجداد عظام وما لله علي من فضل قال فغضب قيس بن سعد
من قوله وقام اليه وقنعه بمخصرة كانت بيده وقال كذبت يا عدو
الله وعدو رسوله بل الفضل والمنة لله لانه رزقنا من فضله واسبغ
علينا من نعمه وان تعدوا نعمة الله لاتحصوها ثم قال قيس اللهم
انه جحد نعمتك وكفر بها فازلها عنه قال والله ما مضى نهاريومهم
ذلك حتى جاء الخبر ان املاكه قد انهدمت واغنامه قد هلكت
وبساتينه قد يبست وبساير امواله قد مضت فقال قيس بن سعد
الله اكبر هذا والله مثل حديث سمعته من رسول الله صلعم وابوهريرة
جالس الى جانبي فقال ان ثلثة في بني اسرايل ابرص واقرع واعمى
فاراد الله عزوجل ان يبتليهم فبعث اليهم ملكا من الملائكة فاتى
الى الابرص فقال اي شئ احب اليك قال جلد حسن فمسحه
فذهب عنه ذلك واعطى جلدا حسنا ثم قال الملك اي المال
احب اليك قال الابل فاعطى ناقة عشراء من الابل فقال الملك
بارك الله لك فيها قال واتى الملك الى الاقرع فقال اي شئ
احب اليك قال شعر حسن فمسحه الملك فذهب عنه ذلك واعطى

شعرا حسنا قال فاي المال احب اليك قال البقر فاعطي بقرة حاملا فقال الملك بارك الله لك فيها واتى الملك الى الاعمى فقال اي شيء احب اليك قال ان يرد الله علي بصري فابصر به الناس قال فمسحه الملك فرد الله تعالى عليه بصره فقال اي المال احب اليك قال الغنم فاعطي شاة ولودا فقال الملك بارك الله لك فيها قال فانتج هذا وهذا وهذا وكان للابرص واد من الابل وللاقرع واد من البقر وللاعمى واد من الغنم قال فاتى الملك الى الابرص في زي فقير فقال انا بالله وبك اسالك يا هذا بالذي اعطاك الجلد الحسن واللون الحسن والمال بعيرا ابتلغ عليه في سفري فقال له ان الحقوق على كثيرة فقال له كاني اعرفك الم تكن ابرص يقذرك الناس وفقيرا فاعطاك الله فقال انما ورثت هذا المال كابرا عن كابر اباعن جد قال ان كنت كاذبا فصيرك الله الى ما كنت فرده الله تعالى الى ما كان قال واتى الملك الى الاقرع ايضا في زي فقير فقال له مثل ما قال للابرص ورد عليه الاقرع مثل مارد عليه الابرص فقال الملك اللهم ان كان كاذبا فصيره الى ما كان فرجع الاقرع الى ما كان عليه قال واتى الملك الى الاعمى في زي فقير فقال (انا) رجل مسكين وابن سبيل انقطعت بي الحبل في سفري فلا بلاغ لي اليوم الا بالله ثم بك اسالك بالذي رد عليك بصرك واعطاك المال اسالك شاة ابتلغ بها في سفري قال قد كنت اعمى فرد الله تعالى علي بصري واعطاني (المال) فخذ ما شئت فوالله لا اجهدك اليوم شيئا اتخذه لله ويروي لا اجهدك اليوم شيئا اتخذ به لله فقال الملك امسك مالك فانما

انطاكم فقال رضي الله عنك وسخط على صاحبيك * قال صاحب
الحديث واجتمع المال وخرجوا به الى خالد فقبض المال
ودخل المدينة واخذ كنيستهم العظمى فبناها جامعا وترك لهم اربعة
كنايس لاقامة دينهم وشرعهم وكتب الى عمرو بن العاص كتابا
بالفتح فلما بلغ الكتاب الى عمرو بن العاص وقراه فرح بذلك فرحا
شديدا وولى على مصر ابا ذر الغفاري في جماعة من المسلمين
وانحدر عمرو بن العاص الى الاسكندرية ودخل اليها وبنا فيها
جامعا في الربض وهو معروف بجامع عمرو بن العاص الى يومنا هذا
قال ابن اسحاق وبعد ايام جاء اهل رشيد وفوه والمحلة ودميرة
وجرجر وسمنود والبحيرة واستعقبوا لهم صلحا وصالحهم عمرو بن
العاص على ما اتفقوا عليه ثم بعث عمرو بن العاص المقداد بن الاسود
الكندي وضرار بن الازور ورفيع بن عميرة الطائي وشاكر بن
مزروع ونوفل بن طاعن وراجح بن عياض وعاصم بن عبد الله
وقدار بن معمر وفارس بن مزيد وعروة بن سالم وسهيل بن
علي وعمير الجهني وكعب بن مالك وشعيل بن عبادة ويزيد
بن خطاب وعطية بن ماجد ودحيم بن عاطل وصعصعة بن صرخان
وهشام بن سعيد وجبلة بن الشريد ومزروع بن ثابت وياسر بن
الاشرس ومجمع بن سعيد وبكر بن راشد ومرة بن الحكم وزاهر
بن قيس وحنظلة بن كامل وعبيد بن ارس ورافع بن اسيد ومرداس
بن طاعن والاسود بن يحيي وغانم بن الاحوص وعبد الله بن جابر
وحازم بن ناصر وخالد بن حزام فجملة من ذكرناهم باسمائهم

ستة وثلثون رجلا واربعة لم نقف على اسمائهم فالجملة اربعون رجلا من اكابر الصحابة * قال صاحب الحديث فامر عمرو بن العاص عليهم المقداد بن الاسود الكندي وامرهم بالمسير الى دمياط قال صاحب الحديث وكان صاحب دمياط والحاكم عليها الهامرك وهو خال المقوقس وكان يركب في اثني عشر ولدا وكان تحت يد كل ولد منهم خمسماية فارس من ابطال القبط وكان قد حصن دمياط واوثقها بالرجال والزاد والاطعمة فلما اشرف عليها المقداد برجاله الاربعين ونظر الهامرك الى قلتهم ضحك وقال ان قوما ينفذون الينا اربعين رجلا منهم ليملكوا بلدنا انهم لفي عجز من رايهم وقلة عقل قال وكان ولده الاكبر فارسا مشهورا في بلاد النيل وكان اسمه هزبر وكان ابوه يثق بشجاعته وبراعته وليس في عينه من الفرسان شيء فلما نظر الى الصحابة وقلتهم طمع في قتالهم ولبس سلاحه واشتمل بعدته وركب وخرج في بنيه وجنده واقبل الى ميدان الحرب وصف اصحابه صفوفا قال فلما نظروا المسلمون الى عسكر دمياط وقد خرج الى حربهم واصطفوا ركبوا ايضا ووقفوا في مقابلتهم فبرز من صفوف القبط ولد الهامرك الكبير هزبر وجال على جواده وصال وطلب البراز فخرج اليه ضرار بن الازور وحمل عليه وطعنه في صدره اطلع السنان يلمع من ظهره فانجدل صريعا من ظهر جواده يتخبط في دمه وحمل ضرار على عسكر الهامرك والجاه الى سور المدينة قال فاستعاذ الهامرك من ضرار وحملاته ووقع الخوف بقلوب عسكره ورجاله وضاق صدره على ولده وتاسف عليه

وبكا وعطف راجعا الى المدينة باولاده وعسكره وغلقت ابواب المدينة ودخل الهامرك الى قصره واجتمع اليه اكابر دولته وقد صعب عليهم ما قد نزل بهم من الصحابة فقال الملك لاصحابه ما ترون من الراي في امر هولاء القوم الذي قد اقبلوا الينا ونزلوا على مدينتنا يريدون قتالنا واخذ بلدنا فقالوا ايها الملك الراي ما تراه قال لابد لنا من الراي والتدبير قال وكان للقوم في المدينة حكيم يعتمدون عليه في الراي والمشورة وهو ذو عقل ومشورة ومعرفة فامر الملك باحضاره فحضر بين يديه فنظر الملك اليه وقال ايها الحكيم العالم ما الذي تشير به علينا من امر هولاء العرب قال الحكيم اعلم ايها الملك ان جوهرة العقل لا قيمة لها ومن استضا بها هدته الى سبيل نجاته وقادته الى معالم صلاحه وهولاء القوم لا تذل لهم راية ولا ينال منهم غاية وقد فتحوا البلاد واذلوا العباد واشتهر امرهم وعلا ذكرهم وانتشر خبرهم وعلت كلمتهم وطبقت دعوتهم الارض فلا يقدر احد عليهم ولا يصل اليهم وما نحن باشد من جيوش الشام جلدا ولا اكثر عددا ولا امنع بلدا وهولاء القوم قد تايدوا بالنصر وغلبوا بالقهر وان الرحمة في قلوبهم وما عاهدوا عهدا فخانوا ولا حلفوا يمينا فحنثوا وقد بلغك ماهم فيه من الدين والصيانة والصدق والامانة والراي عندي ان تعتقب (تعتقد) لنا منهم صلحا فتنال بذلك الامن وحقن الدماء وصون الحريم والاولاد ونصالح القوم وندفع اليهم شيئا من اموالنا يدارئهم به عنا قال فلما سمع الهامرك من الحكيم ذلك قال ويلك يقتل ولدي وتشير

على التسليم للباب ثم امر بضرب عنقه قال ولما نظر الحكيم الى المنية وقد غشيته قال اللهم انى ابري مما يشركون لا شريك لك ولا صاحبه لك ولا ولد لك انا اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا عبده ورسوله قال ولما سمع الهامرك ذلك منه وثب قايما على قدميه وجذب سيفه وضربه على عنقه ورمى براسه عن جسده قال فلما نظروا اصحابه والاكابر دولته الى فعله مع الحكيم ما جسر احد منهم ان يشير عليه بشي وامسكوا القوم عن الكلام فعند ذلك اقبل الهامرك عليهم وامرهم باخذ الاهبة والركوب فاخذوا القوم اهبتهم وركبوا وخرجوا الى ظاهر دمياط ونصبوا خيامهم وسرادقاتهم وعزموا على حرب الصحابة قال وانقضى النهار ولم يكن حرب وباتوا تلك الليلة قال وكان للحكيم الديرخان ولد عاقل لبيب قد ورث ايضا فضايل ابيه وكان ايضا ذا عقل وتدبير فلما قتل الملك الهامرك اباه اظهر الفرح والدعاء للملك وقال لقد اراحني الملك منه ومن شره لانه كان يثلبني ويضربني قال فبلغ الملك ما قاله ابن الحكيم فاستحضره وطيب قلبه وخلع عليه فلما كان في الليل قال ابن الحكيم والله لاخذن بثار ابي قال وكانت دار الحكيم ملاصقة السور فنقب ابن الحكيم نقبا واسعا وخرج منه ولم يعلم به احد من الناس وقصد الصحابة فلما احسوا به اقبلوا اليه وقالوا له من انت قال اعلموا ان ابي قتل بسببكم ولقد نقبت في السور نقبا واسعا وخرجت منه واتيت اليكم لتدخلوا المدينة فقوموا على بركة الله وعونه حتى تدخلوا وتملكوا المدينة

فقال له ضرار يا ويلك ان الذي بعثك بهذ انما اراد قتلك اما علمت ان اخذ شعارنا والتحفظ ذمارنا قال وهم ضرار به فقال له المقداد يا ضرار لا تعجل فاني رايت هذه الليلة حين اخذتني عيني في المنام ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اقبل الينا وهو لنا مبشر ان هذا الغلام واقف بين ايدينا وهو يقول لنا هذا الكلام والنبي يشير بيده الكريمة اليه فتاملته يا ضرار فرايته في المنام على ما هو عليه في وقتنا هذا ورايته ايضا وعلى وسطه منطقة من الاديم ولها حلق من الفضة ثم قال المقداد اكشف يا غلام عن وسطك فرفع الغلام ثوبه واذا بالمنطقة على وسطه ثم قال اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله فاقبل ضرار والمقداد على الغلام وصافحوه وسروا الصحابة بذلك سرورا عظيما وركب المقداد وضرار والاربعون خيلهم بغير انزعاج وساروا تحت الظلام والغلام بين ايديهم الى ان اتوا الى السور الذي نقب فيه الغلام النقب فوسعوه الصحابة ودخلوا منه بخيلهم ثم سدوا النقب بالحجارة والطين فقد اخذ الله تعالى عنهم ابصار عدوهم فلم يرهم احد من اهل المدينة ودخلوا الصحابة الى دار الحكيم واختفوا فيها قال ابن اسحاق ولقد بلغني ان ابن الحكيم كان له بنو عم واقارب ابيه ثمانون رجلا فسار اليهم تحت الليل واخبرهم بما فعل وكانوا ايضا قد غضبوا لقتل الحكيم فاتوا معه الى داره ودخلوا الصحابة وسلموا عليهم وباتوا ليلتهم عندهم فلما اصبح الصباح فتح باب المدينة وخرجوا اهل دمياط لمساعدة الملك على قتال العرب ولم

يتخلف في المدينة الا النساء والصبيان وركب الهامرك في جوشة
وطلبوا الصحابة فلم يجدوهم ولا علموا لهم بخبر فوقع الصياح بان
العرب قد هربوا فعند ذلك بادر ابن الحكيم وبنو عمه الثمانون الى
باب دمياط فغلقوه ووقف منهم جماعة لحفظ الباب وثاروا اصحاب
رسول الله صلعم في المدينة بالتهليل والتكبير وملكوا المدينة وسلموها
لابن الحكيم وبني عمه وخرجوا الصحابة من باب يقال له باب
البراجيم يعني باب الجهاد وبهذا الاسم يعرف الى يومنا هذا قال فلما
نظر الهامرك الى الصحابة وقد خرجوا من المدينة علم ان المدينة
قد ملكت وما بقي له وصول اليها وقد خرجت عن يده صعب
عليه ذلك وخافوا الرجال على حريمهم واولادهم وحاروا في امرهم
قال ولما خرجوا الصحابة من الباب ترتبوا للقتال وعزموا على حرب
الهامرك واصحابه قال ورتب الهامرك اصحابه ايضا للقتال فلما
فرغ من الترتيب وقف في صدر عسكره تحت صليبه ووقف ولده شطا
عن يمينه لانه كان ابوه الهامرك يحبه حبا شديدا دون اخوته لعقله
واجتهاده في دينه لانه كان عالما عاقلا كثير التيقظ كامل الاداب يتبع
اثار الرهبان ويجالس علماء دينهم وكان مذ نشاء ما اكل لحم خنزير
ولا شرب خمرا ولا سجد لصورة ولا قبل صليبا ولا ارتكب حراما واراد ان
يبني له صومعة وينفرد فيها فلم يدعه ابوه ومنعه من ذلك لفرط
محبته فيه قال وكان هذا الغلام شطا كثيرا ما يبحث عن اخبار رسول
الله صلعم فلما وصلوا الصحابة الى مدينتهم وكان من امرهم ما ذكرنا
وخرجوا الصحابة من المدينة بعد ما ملكوها ووقفوا صفا واحدا ورتب

اليها مرك جيشه صفوفا ووقف ولده شطا عن يمينه وجعل ينظر الى الصحابة والى زيهم وقلبه مائل اليهم فكشف الله عن بصره لما اراد من هدايته فراى نور الايمان يلوح عليهم فعند ذلك شخص ببصره الى السماء فكشف له فرأى ما راى فصاح صيحة عظيمة وسقط عن جواده ووضع وجهه على قربوس سرجه مغشيا فارتاع ابوه لذلك واقبل عليه ومسكه خوفا عليه ان يسقط الى الارض فلما افاق قال له ابوه يا بني مالك وما الذي اصابك قال يا ابت ظهر لي والله الحق وبان وعلمت حقيقة الايمان ولقد رايت على هولاء العرب نورا عظيما ورايت معهم رجالا عليهم ثياب خضر وبايديهم رايات صفر تزهون بالانوار وهم على خيول شهب ثم نظرت الى الجو فرايت قبابا معلقات بلا علاقة من فوقها ولا دعامة من تحتها وفيها رجال ما رايت احسن منهم والانوار تشرق من وجوههم فقلت من هولاء فاذا قائل يقول هولاء الشهداء الذين قتلو فى سبيل الله ثم رايت قبة عظيمة زائدة الانوار فجعلت انظر اليها ورايت فيها حورية زائدة الانوار لو بدت لاهل الدنيا لماتوا شوقا اليها واعلم يا ابي ان الله عز وجل ما كشف عن بصري ورايت ما رايت الا لهدايتي واراد بي خيرا وما بعد هذه الرويا ان اكون على الضلالة واتبع سبيل من كفر بالله وانا اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله ثم حرك على جواده وقال لغلمانه ورجاله من احبني يتبعني فاتبعه من القوم الف رجل ولحق بالصحابة قال فلما اقبل شطا واصحابه على الصحابة ارموا هلاحهم واعلنوا بكلمة التوحيد ووحدوا الله عز وجل فاقبلوا الصحابة عليهم

وقد سروا بهم سرورا عظيما وهنوهم بالسلامة وبشروهم من الله عز وجل بالكرامة والقبول قال فلما نظر الهاموك الى ولده شطا وايمانه بالله عز وجل ومسيره الى الصحابة قال ما امن ولدي الا وقد راى الحق واني لا اشك في عقله وحسن رايه ثم اعلن الهاموك بالشهادة ولحق بولده شطا قال فلما نظروا اولاده وامراته واكابر دولته الى الملك وقد اسلم ولحق بولده شطا قالوا لولا ما ظهر لهم الحق ما اسلموا فاسلم الجميع ولحقوا بملكهم الهاموك قال ففرحوا الصحابة بذلك واقبلوا على الهاموك ورفعوا قدره وقدر اولاده وامراته وشكروا لهم فعلهم قال وحلوا الجميع اسلامهم على الصحابة وفتحت ابواب المدينة ودخلوا الصحابة والملك واولاده وعسكره فمن كان اسلم تم على اسلامه ومن ابا الاسلام واراد المقام على دينهم تركوه ولم يكرهوه واخرجوه الى الارياف والجزاير قال وفتح المقداد البيت الذي دخلوا منه الى المدينة وامر بمثاله فبني بابا وسماه باب اليتيم وهو ابن الحكيم قال وترك منهم المقداد رجلا من الصحابة يقال له يزيد بن عامر يعلمهم معالم دين الاسلام وسار المقداد من دمياط الى الاسكندرية وحدث عمرو بن العاص بما فتح الله عز وجل عليهم من دمياط وكيف اسلم الهاموك واولاده وجنده واهل مدينته دمياط ففرح عمرو بذلك وكتب كتابا الى امير المومنين عمر بن الخطاب يبشره بفتح الاسكندرية ورشيد وفوة ودمنهور والبحيرة ودمياط وبعث الكتاب مع عامر بن لوي ❊ قال صاحب الحديث حدثنا زياد بن عبد الله قال اخبرنا حميد الطويل

قال حدثنا ابن الصامت عن نصر بن مسروق قال لما فتحت دمياط وكان
من امرها ما ذكرنا قال الهامرك لولده شطا يا بني ان الله سبحانه
وتعالى قد انقذنا من نار جهنم ودلنا الى الصراط المستقيم
وجنات النعيم وذلك فضلا من الله عز وجل لسابقة سبقت لنا
في القدم وهذه تنيس بالقرب منا وهي جزيرة لا يصل اليها احد الا
في المراكب والصواب انا نكاتب صاحبها اباثوب وندعوه الى الله
تعالى ودين نبينا فان اجاب والا سرنا اليه وقاتلناه والله تعالى
ينصرنا فقال شطا نعم الراى وانا اكون الرسول اليه بنفسي فقال
الملك يا بني اعزم على بركة الله تعالى وعونه قال فركب شطا واربعة
رجال من غلمانه فقال يزيد بن عامر لشطا انا اسير معكم الى
صاحب تنيس فانه لو سالكم عن امر ديننا لم يكن لكم خبر بجواب
سواله ونحن بحمد الله تعالى نعلم معالم ديننا ونرد جواب من
يسالنا ولا فينا من يتكبر ولا يتجبر لان طلبنا الاخرة والعمل بما
يقربنا الى الله عز وجل قال شطا سمعنا قال فسار شطا والاربعة
من غلمانه ويزيد بن عامر ولم يزالوا سايرين الى ان اتوا بحيرة
تنيس واذا على ساحلها مراكب من قبل صاحبها وفيها رجال يحفظون
معبرها ومن ياتي من قبل دمياط فلما نظروا اهل المراكب الى شطا
وغلمانه الاربعة ومعهم رجل من العرب قالوا من انتم قال لهم
شطا انا ابن الملك الهامرك صاحب دمياط ومعنا هذا الرجل وهو
من اصحاب رسول الله وقد جئناكم رسلا قال فبعثوا القوم رجلا الى
ابي ثوب صاحب جزيرة تنيس يخبرونه بذلك واستاذنوه في العبور

والقدوم عليه فاذن لهم فرجع الرجل اليهم بذلك وقدموا لشطا وغلمانه وليزيد بن عامر زورقا فركبوا فيه وقذفوا بهم حتى اتوا مينا الجزيرة وان الملك ابو ثوب قد نفذ اليهم خيلا برسم الركوب قال فنزلوا من الزورق واراد شطا ان يركب يزيد معهم على الخيل فامتنع يزيد من الركوب فوافقه شطا على ذلك وغلمانه وساروا رجالة حتى اتوا قصر ابي ثوب فاستاذنوا عليه فاذن لهم بالدخول فدخلوا فلما توسطوا القصر وانوا ابا ثوب في عظيم حشمته وكثرة زينته وحجابه بين يديه وهو في مرتبته والغلمان والعبيد قيام بين يديه في خدمته فلما دخلوا عليه ووقفوا بين يديه فبدرهم ابو ثوب بالسلام فقال يزيد بن عامر السلام على من اتبع الهدى انا قد اوحي الينا ان العذاب على من كذب وتولى قال صاحب الحديث حدثني ثقة بن سالم قال اخبرنا جرير بن احمد قال حدثنا عنمة عن جبير وكان من اعلم الناس بفتوح مصر والغرب قال هذا ابو ثوب من عرب ارض العريش الذين كانوا مقيمين بها وكان من متنصرة العرب من غسان وكان يقرب من جبلة بن الايهم وكان صاحب مال ورجال وانه لما ملكت المسلمون الشام وقهروا الروم وانهزم هرقل الى القسطنطينية وهرب جبلة بن الايهم بما له وعياله واكابر قومه ايضا وركبوا البحر وطلبوا الجزائر هرب هذا ابو ثوب بماله واهله واخوته الى ارض الحفار ونزل ببرية ما بين العريش ورفح وملك تلك الارض واقام بها قال صاحب الحديث وان الملك المقوقس خرج ذات يوم بأمرائه واكابر دولته يريد الصيد فانتهى في صيده الى

ارض العريش فانطردت بين يديه ظبية فاتبعها الملك على جواده
الى ان رمت به الى حلال ابي ثوب بن كامل بن صعصعة فتعب جواد
الملك ونجت الظبية وكان ابو ثوب جالسا في مضربه فلما نظر الى
الملك المقوقس وقد اقبل الى نحو مضربه قام مسرعا اليه ولم يعرفه
بل انه نظر الى حشمته وما عليه من ملابس الملوك فعلم انه ملك
فلما وصل اليه بجله وعظم قدره مسك بركابه وانزله وامر عبيده
ان ياخذوا جواده ويسيروه ويريحوه ودخل به المضرب واجلسه
وامر العبيد بذبح الاغنام والاماء باصلاح الطعام قال واذا بجيشه
ومماليكه وغلمانه قد اقبلوا في اثره فانزلهم ابو ثوب فلما استوى
الطعام قدم الجفان مملوءة بالثريد والطعام من ساير الالوان. قال
واقام الملك وحاشيته عند ابي ثوب ثلثة ايام فلما كان اليوم
الرابع ركب الملك المقوقس في حاشيته وسار يريد مصر فركب ابو ثوب
معه وشيعه ولم يزل معه حتى عزم عليه الملك برده بعد ما اثنى عليه
خيرا ووعده بكل جميل ورجع ابو ثوب الى حلته وسار الملك
المقوقس حتى دخل مصر وجلس على كرسي ملكه فعند ذلك امر
الملك لوزيره ان يكتب لابي ثوب ولاية تنيس واعمالها وانفذه
مع الكتاب الخلع والمماليك والغلمان قال فلما وصل منشور الملك
الى ابي ثوب والخلعة والمماليك والغلمان فرح وقبل الارض
وسار باهله واقاربه الى القومة وركب منها في المراكب وسار الى
تنيس فلما ترتب في ولايته بعث الى اخوته وباقي قومه لياتوه
فاتوا اليه فولى اخاه ابا مينا على جزيرة الصدف وولى اخاه الثاني وهو

ابو شما ملك جزيرة الطير وولى ملك ربو ولده شماس وولى ملك فينا مولاه ابا لاحج قال وتمكن ابو ثوب وطغى وتجبر ومرت الايام والليالي حتى قدموا اصحاب رسول الله صلعم الى مصر وكان من امر الملك المقوقس ما ذكرناه من هلاكه على يد ولده الملك ارسطوليس وكيف اهلكه فلما بلغ ابا ثوب ذلك منع الارتفاع الذي كان يحمله الى ولده ارسطوليس ورأى نفسه في جزيرة تمنع من يصل اليه من الناس وحصن نفسه في جزيرته فلما ملكوا المسلمون مصر والاسكندرية وما حولها من البلاد وملكوا دمياط واسلم الهاموك واولاده وحديثه فسار اليه شطا وغلمانه ويزيد بن عامر في الرسالة * وعدنا الى الحديث قال فلما دخلوا عليه ووقفوا بين يديه ورآهم ابو ثوب اظهر عليهم الاعجاب والتكبر ولم يرفع رأسه اليهم ولم يجسر احد من حجابه ان يأذن لهم بالجلوس فلما نظر يزيد الى ذلك قرأ قوله تعالى إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ثم جلس وجلس الى جانبه شطا قال ونظر يزيد الى سرير ابي ثوب واذا هو من الذهب وفيه صورة النخلة ومن تحت النخلة صورة مريم والمسيح عيسى في حجرها فقرأ يزيد قوله تعالى فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا ولم يزل يتلو هذه الايات الى قوله تعالى قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَمَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ

امت ويوم ابعث حيا قال فلما سمع ابو ثوب بزيد بن عامر يتلو هذه
الايات تغير لونه وغضب غضبا شديدا فلما فرغ يزيد من تلاوته
التفت ابو ثوب اليه و قال له بغضب و حنق ما هذا الكلام الذي
نطقت به قال يزيد هذا كلام الله عز وجل الذي انزله على نبيه
محمد الذي لا تفني عجايبه ولاتبدل كلماته ولا تمثل آياته قال ابو
ثوب فما معنى ما ذكرته وما تفسيره قال بزيد تفسيره ما اخبر الله
عز وجل عن نبيه عيسى انه علم الحق ونطق به على نفسه انه عبد
الله ليس بولد جل الواحد الصمد واما قوله واوصاني بالصلوة والزكوة
اني مامور بالطاعة والخدمة مثلكم اصلي لربي وان يكن في
مالي حق الله تعالى واما معنى قوله علي يوم ولدت ويوم اموت
ويوم ابعث حيا اعلم الناس انه مولود لا يستحق ان يكون معبودا
ومن يمت لا يكن له العزة والجبروت ومعنى قوله ابعث حيا يعلمهم
انه واياهم يبعثون يوم القيامة يوم الحسرة والندامة ولو كانا الهاً
لكان لهما ارادتان ووقع الخلف بينهما ولكن انظر ايها الرجل ترى
الحكمة غير فاسدة وعلى وحدانية الله شاهدة فلما سمع ابو ثوب كلام
بزيد بن عامر اقبل عليه وقال اقد تمسكتم بهذا بالاباطيل وغرقتم
في بحر الاضاليل فقال يزيد بن عامر الله يعلم من هو تايه في تيه
الضلال مشرك بالملك المتعالي الله القادر الذي لا سماء تظله ولا ارض
تقله ولا ليل يجنه والنهار يكنه ولا ضياء يظهره ولا ظلمة تستره
ولا يقهره سلطان ولا يغيره زمان وكل ساعة هو في شان اما لكم
بصاير اما منكم من ينظر ويعتبر ويتفكر في قدرة الملك القهار

اما منكم من يعظ نفسه بذهاب النهار المضي واقبال الليل الداجي
اما ان لكم ان توحدوه وتعبدوه وتنزهوه عن المشاركة وتقروا له
بالوحدانية اما سمعتم كلام من تعبدونه وتشيرون اليه وتعظمونه
يعني بكلامه عيسى بن مريم قد اقر لله تعالى بالوحدانية والعبودية و
قال اني عبد الله ولقد بشر بنبينا محمد قبل مبعثه وعرف الناس بقربه
من الله تعالى وكرامته اما سمعتم بمعجزاته وما قد اظهر الحق من
معجزاته واياته ودلالاته اما انشق له القمر اما كلمه الضب و
الحجر اما خاطبه البعير والشجر اما هو اطيب بيت في مضر قال
فانحجم ابو ثوب عن رد الجواب ولم يكن له ما يزيل به الحجة الا ان
قال ليزيد بن عامر قد وصل الينا ما قلت لكنه كان سحرا مستمرا
وان كان قولك هذا حقا فادع الله وتوسل اليه بمحمد ان يسقينا
الغيث فان جاء الغيث علمنا ان قولك حق وليس فيه شك ونؤمن
بالله تعالى ونصدق برسالة محمد قال يزيد بن عامر ان الله عز وجل
قادر على ما ذكرت وان الله على كل شيء قدير وان العبد المخلص
اذا دعا الله تعالى اجاب دعاه والله يفعل ما يشاء ثم قام يزيد بن عامر
وخرج من مجلس ابي ثوب فقال له ابو ثوب الى اين يا يزيد قال
ادعو الله الذي لو شاء انزل عليكم رجزا من السماء ثم قرأ قوله تعالى
بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَن يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ
وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ قال حدثني عاصم قال اخبرنا ربيع عن عبد
الله عن وقاص بن جبير قال انما طلب ابو ثوب الغيث واقتصر عليه
لانه كان له مزرعة بالبعد عن النيل فلا يقدر يسقيها ولا يصل اليها

الماء وما تشرب الا من ماء السماء لانه كان قد صنع لها مصانع يجتمع فيها من ماء الامطار ما يكفيها من العام الى العام فاذا انقطع الغيث في ايام الصيف كان يسقيها من تلك المصانع وكانت المزرعة منه ببال وقد غرس فيها من جميع الاثمار وكان في تلك السنة التي حضر عنده فيها يزيد بن عامر قد امسك الله تعالى عنه الغيث في ايام الشتاء ونفد ما في المصانع وعطشت المزرعة واشرفت على اليبس والهلاك في الصيف وهو احوج الى الماء في ذلك الوقت الذي حضر عنده يزيد بن عامر وكان من امرهما ما ذكرناه وطلب منه نزول الغيث وليس ذلك اوان المطر فقال يزيد ان الله يفعل ما يشاء وهو على كل شيء قدير ثم خرج يزيد وقصد البحر وتوضأ وصلى ركعتين ثم رفع راسه الى السماء وفتح كفيه ودعا وقال اللهم انك قد امرتنا بالدعاء ووعدتنا بالاجابة وانت اصدق القائلين اذ تقول وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِي إِذَا دَعَانِ وقد دعوتك كما امرتني فاستجب كما وعدت يا ذا المعروف الذي لا ينقضي ابدا ولا يحصيه غيرك احد اسقنا غيثك بحق محمد المصطفى واله الشرفاء واصحابه اهل الوفاء انك على كل شيء قدير قال وقاص بن جبير لقد بلغني ممن اثق به ان يزيد بن عامر كان يدعو اذا ارتفع السحاب في الجو ووقف وقفة الخاضع ورفع جناح السائر الواضع وانبعث وتالف والرعد يصول عليه صولة الغاضب وهو له بصوت البرق ضارب والرعد يزمجر عليه بصلصلة قعقعة مدير وهو على ذلك قدرة الله مسخرا يسير والله القادر لا وكل

يا اسحاب ملائكة الرحمة متمنطقين بمناطق الخدمة يسوقونه بخزاين رحمته يجذبونه بازمة القدر ايادي صولته والسحاب واضع اجنحة عبوديته بموسوم يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته والسحاب يسير سير العجل ويسرع اسراع الوجل والرعد يسبح تسبيح من سجد لجلاله ونرى الودق تخرج من خلاله فلما استوسقت وتكملت بالماء تحملت واتسعت في الجو وانتشرت والرعد يزجرها والبرق بصوت لمعانه يضربها ويلمع من خلالها هبت عليها رياح قدرته نشرا بين يدي رحمته هنالك تفتحت مصاريع ابوابها وارتفع مترتحا بها فهمعت بدموع سحابها على مفارقة خزائنها وهطلت على الارض بصفاء ماء دموع سحابها فاستبشرت الارض عند ورودها وانتظم عقد الزهر في جيد وجودها فاخرجت ذخاير نبتها فرحا واستبشارا برحمة ربها ونادى منادي القدر انظر الى اثر رحمة الله كيف يحيي الارض بعد موتها قال وانشأ في معناه * شعر *

فدونك فانظر في الحوادث كلها * فما العلم الا في الاناس وجوده
وسرطالبا ماء يروي من الظما * فري الفتى من بعد قبل وروده

قال ونزل المطر ينسكب بقية يومهم وليلتهم حتى سقى ارضهم وملا مصانعهم فلما كان من الغد حضر يزيد بن عامر في مجلس ابي ثوب وقال له كيف رايت صنع الله الصانع المتكفل برزق العباد قال فضحك ابو ثوب وقال ان سحركم لعقولهم وان مكركم لجسيم وان السحر يفعل اكثر من ذلك فقال له يزيد

انما الرحمة من الله تعالى لانه بر تواب و اقسمت عليه بمحمد صلعم فاستجاب دعائي قال فافحم ابو ثوب عن رد الجواب حين راى ما راى من قدرة الله عز وجل بنزول المطر و ما ظهر له من بركات صاحب رسول الله صلى الله عليه و سلم قال الان ظهر لي الحق وتحقق عندي ان دينكم الحق و قولكم الصدق وانا مؤمن بالله مصدق برسالة رسول الله ثم قال ابو ثوب اريد ان اعرض الاسلام على اهل جزيرتي وعلى اهلي و اصحابي واهدم الكنائس وابني المساجد و امر بالمعروف وانهي عن المنكر فقال يزيد بن عامر ان انت فعلت ذلك رشدت وان انت نافقت فان ربك بالمرصاد ثم خرج من عنده وخرج شطا وغلمانه ورجعوا الى الهامرك صاحب دمياط و حدثوه بما كان من امر ابي ثوب فقال الهامرك و الله لقد خدعكم بخديعة ورماكم بسهم مكيدته فقال يزيد بن عامر وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللهُ وَاللهُ خيرُ المَاكِرِينَ قال فما لبثوا الا اياما قلايل حتى جاءهم الخبر ان ابا ثوب قد جمع العساكر من سابر الجزاير من سمنة و ابي مينا و ابى سلود وهو بعد ايام يكون عندكم قال فلما سمع الهامرك ذلك قال ليزيد بن عامر نستعين بالله تعالى ونتوكل عليه ومن قاتلنا قاتلناه قال وبعث الهامرك ولده شطا الى برلس ودميرة واشمون طنا وما تحت يده من البلاد يدعوهم الى الجهاد فاقبلوا القوم اليه من كل ناحية ومكان في عددهم وعديدهم وضربوا خيامهم مما يلي الشرق والقبلة من دمياط وكتبوا الى عمرو بن العاص بن وايل السهمي واخبروه بالامر وان ابا ثوب

قد جمع الجموع وهو قاصد الينا فانجدنا برجال من ابطال المسلمين
قال فلما وصل الكتاب الى عمرو بن العاص وقراه نفذ اليهم بهلال
بن اوس وصفوان بن ربيعة وضم اليهم الف فارس من بادية الاعراب
ووادي القرى وامرهم بالمسير الى دمياط قال واما ماكان من ابي
ثوب فلما اجتمعت اليه الجموع عرضهم بظاهر تنيس واذا هم عشرين
الفا من الرجالة ومن الخيل خمسماية فارس من القبط ومن العرب
المتنصرة وخرج بهم في المراكب وساروا الى ان قربوا من دمياط
ونزلوا بازاء المسلمين وصفوا صفوفهم وعزموا على الحرب قال وتقابلوا
الجيشان فاول من خرج من صفوف المسلمين كان شطا بن الهاموك
فخرج على جواده وحمل على الاعداء فقتل رجالا وجندل ابطالا
لانه اشترى الايمان بنفسه وشرح للاسلام صدره واشتاق الى دار
السلام وذلك عند ما لاحت له تلك الانوار وانفتحت له ابواب قلبه
بمعرفة ولم يزل يقاتلهم بقية يومهم الى ان جن الليل ورجع من
قتال القبط الى الصلاة والقيام فلم يزل طول ليلته قايما على الاقدام
في خدمة الملك العلام متدرعا بالخوف والرجل منكس الراس
خجلا من الرب عز وجل فلما تنصف الليل وطلع نجم السهيل
اضطجع فلماكان وقت الغلس وقرب الصبح وتنفس استيقظ شطا وهو
باكي العين فقال له ابوه ما الذي يبكيك يا بني قال له اني رايت
في منامي ما لا ابصرته وسمعت كلاما ما لا سمعته والدنيا مني
طالق قال له ابوه اعوذ بالله يابني من هذا الكلام ولعل ذلك يكون
اضغاث احلام فقال والله ما هو اضغاث احلام ولكنه قرب من الملك

العلام الذي اجرى الاقلام وخلق الضياء والظلام وبعث محمدا سيد الانام الى الخلايق بشرائع الاسلام واني رايت في نومي كان ابواب السموات فتحت وانوار الهداية قد سطعت ولمعت فرايت ملائكة سماء الدنيا وهم سجود لا يقومون ومنهم ركع لا ينصبون ومنهم قيام لا يقعدون وهم من خشية ربهم باكون لا تنشف لهم عيون ورايت كذلك سماء بعد سماء الى السماء السابعة ثم رايت في السماء السابعة قبة من زمرد الاخضر فيها قناديل من الجوهر الابيض وهي تزهر بالانوار وتقد من غير نار وفي القبة اربعون حورية عليهن حلل ما رايت في الدنيا مثلها ولا شكلها ووجوههن كوجوه الانس لكن نورهن يكسف نور الشمس وفي ارجلهن نعال من الياقوت الاحمر يطأن بها على فرش الاستبرق والحبور ويتقلبن على اسرة السرور فصاحت لي احداهن وجعلت تقول يا مفتون بدار الغرور اما ان لك ان تذكرنا وترغب في قربنا اما علمت ان من اجلك خلقنا ربنا وجعل مهرنا منك الجهاد فما هذا الهجر والبعاد الفت الجفان فما هكذا صنع اهل الوفا والان فقد نفذ الميقات وانقضت الساعات فتيقظ من المنام وبادر الى الرحيل واقصد دار السلام وارفع راسك ترى ما اعد الله تعالي لقوام الليل وصيام النهار وللمجاهدين الابرار فرفعت راسي فرايت قبابا معلقات لا يدرك لها نهاية بعدد النجوم وقطرات الغيوم في كل قبة منها مثل ما رايت في تلك القبة الاولة من الحوريات عليهن الحلي والحلل تشرق منهن الانوار فتطلعت علي منهن حورية لو اطلعت علي اهل الدينا

لاغنت بنورها عن الشمس والقمر وجعلت تقول ❊ شعر ❊

❊ ❊ انت يا مفتون ما تبرح في بحر المنام ❊ ❊
❊ ❊ فدع الفهر و بادر مثل فعل المستهام ❊ ❊
❊ ❊ و شح الدمع على ما اسقلته ❊ ❊
❊ ❊ و ابدل ولا تا و على عذل الملام ❊ ❊
❊ ❊ ايها اللايم دعني لست اصغي للملام ❊ ❊
❊ ❊ امي اطلب ملكا نيله صعب المرام ❊ ❊
❊ ❊ في جنان الخلد و الفردوس في دار السلام ❊ ❊
❊ ❊ و عروسا فاقت الشمس مع بدر التمام ❊ ❊
❊ ❊ طرفها يشرق بالخط مضيا بالسهام ❊ ❊
❊ ❊ و لها صدغ على خد كنون تحت لام ❊ ❊
❊ ❊ احسن الاتراب قدا في اعتدال و قوام ❊ ❊
❊ ❊ مهرها من قام ليلا و هو يبكي في الظلام ❊ ❊
❊ ❊ يا اماني و رجائي و عمادي ومرام ❊ ❊
❊ ❊ فاستمع مني كلامي ثم فكر في النظام ❊ ❊
❊ ❊ وغدا بادر الى الحرب واضرب بالحسام ❊ ❊
❊ ❊ فانت يا سيدي تجدني بعد ترحال الظلام ❊ ❊

قال فلما سمع الهامرك ما قص عليه ولده شطا من المنام قال يا ولدي اعلم من المنام ما يصدق منه و ما يكون اضغاث احلام فلا تشغل قلبك بما رايت في منامك قال لا والله يا ابتي ما هو اضغاث احلام بل هو كرامات الملك العلام وما بقي لي يا ابت في

الدنيا طمع ولم يزل في ليله يبكي ويتضرع ويقوم على اقدام
التذلل ويخشع واجفانه من خوف الرب تدمع الى ان اصبح
الصباح واشرق بضيائه ولاح وركبوا للقتال وودع شطا اباه واهله
واخذ اهبته وتكفن بعدته وسلاحه وركب جواده فتعلق ابوه به
وقال يا بني بحقي عليك لا تبلني بفراقك فقال شطا دع عنك
العتاب فقد قرب لقاء الاحباب فعندها قامت المأتم وانهلت الدموع
السواجم وجرت من كل عين عين وودع الهامرك ولده وقال يا
بني ان صح منامك وضربت في دار السلام خيامك فاذكرنا بحسن
طريقة الوفا واقرئ سلامنا على محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم
قال صاحب الحديث وبرز الغلام شطا الى ميدان الحرب وموقف
الطعن والضرب وجال على جواده وطلب البراز فخرج اليه من عسكر
ابي ثوب فارس فقتله شطا وثان وثالث فقتلهما ورابع وخامس
ولم يزل يجاهد حتى قتل اثنى عشر فارسا من عسكر ابي ثوب
فلما نظر ابو ثوب الى ما صنع الغلام شطا بفرسانه لم يطق الصبر
دون ان خرج بنفسه وكان من الفرسان المذكورة والابطال المشهورة
فلما ساوى شطا في حومة الميدان قال يا غلام كيف تركت الدين
المستقيم واتبعت هولاء العرب ودخلت معهم في دين الاسلام
لقد عمل فيك سحر القوم واستوجبت العتب واللوم عد الى الدين
الصحيح دين سيدنا المسيح قال فلما سمع شطا كلام ابي ثوب غضب
عليه وقال يا لعين اتامرني ان اترك الدين المستقيم الذي كان
عليه الخليل والكليم وقد انكشف لي ما اعد الله تعالى لي من

الخير العميم قال فلما سمع ابو ثوب كلامه غضب وحمل عليه ومد سنانه اليه فالتقاه شطا بقلب قوي وعزم مضي وحسام مشرفي وتقاتلا قتالا شديدا وتقالبا على خيلهما ولم يزالا في القتال الشديد والضرب العنيد مقدار ثلث ساعات حتى تعالى النهار وعلاهما الغبار وهوجرت الشمس وكظ شطا العطش وعلم الله تعالى منه ذلك فاراد ان يطيب قلب عبده شطا ويريه ما قد اعد له من المكرمات فكشف عن بصره فراى القبة التي راها في النوم والحورية التي انشدته الابيات وفي يدها كاس من الجوهر فيه ماء من الكوثر وهي تقول يا شطا هذا شراب من شربه ما يشقي ولا يهرم ولا يسقم ولا يموت ولا يبلى والساعة تصل الينا فلما نظر شطا الى ذلك صاح الله اكبر هذا ما وعدني ربي واراني في منامي وبكا واخذه الدمع خوفا من الله عزوجل فقال له ابو ثوب مما بكاؤك قال رايت كذا وكذا فضحك ابو ثوب من كلامه وحمل عليه وتقاتلا قتالا اعظم من الاول الا ان ابا ثوب سبق الغلام شطا وطعنه بقناته في صدره اطلع السنان يلمع من ظهره فخر صريعا وعجل الله بروحه الى الجنة قال فلما نظر الهامرك الى ولده صريعا لم ياخذه صبر دون ان حمل عليه هو واصحابه تقاتلوا الجمعان وعلا الضجيج وارتفع الضجيج حتى عاد النهار كالظلام من كثرة القتام ووقعت الهزيمة على عسكر الهامرك فالتجوا الى سور دمياط وطمع فيهم عدو الله ابو ثوب وظن ان المسلمين في قبضته اذ جاءهم الفرج واقبلت عليهم رايات المسلمين

و تحتها ابطال ا وحدين يقدمهم هلال بن اوس ثم صفوان بن ربيعة
و رفعوا اصواتهم بالتهليل والتكبير و الصلاة علي البشير النذير
قال فلما نظر اليها مرك الى من قدم عليه من المسلمين قوي قلبه
و قلب اصحابه وزاد نشاطهم وحملوا على ابي ثوب واصحابه حملة
عظيمة وقالوا يا اعداء الله قد جاءكم اهل الصدق والايمان وحل
بكم الدمار يا عبدة الصلبان قال وحمل هلال بن اوس وصفوان بن
ربيعة باصحابهم على الكفار و ضربوا فيهم بالصارم البتار قال فلما نظر
ابو ثوب الى من دهمه من العرب الاخيار حار واخذ فبينما هو في
حيرته وضلالته لقيه يزيد بن عامر فقال له يا عدو الله وعدو نفسه
اما اتعظت بايات الله اما ظهر لك الحق من دين الله ورايت اياته
وسمعت ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحق و
تلك معجزاته ثم اطبق عليه حملته وقبض على مخانيق درعه و
وجذبه واقتلعه من جواده واخذه اسيرا وساقه حقيرا ووقع الصياح
ان ابا ثوب قد اسر فاستسلم قومه للقضاء والقدر فمنهم من قاتل
حتى قتل ومنهم من اسر ومنهم من ولى منهزما واسر الصاحب
ابو مينا واسر ايضا ابو شفا وصاحب درنا وسمينة ونصر الله عزوجل
المسلمين واذل المشركين واقبلوا المسلمون على الهامرك و سلموا
عليه وهنوه بالسلامة والنصر وعزوه في ولده شطا فقال احتسبته
عند الله عزوجل وصبرت لقضاء الله تعالى وقدره فقال له يزيد
بن عامر ان في الجنة درجات لا يصل اليها الا الصابرون وذلك
قوله تعالى في كتابه العزيز وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ اِذَا اَصَابَتْهُم

مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون قال صاحب الحديث ثم دفنوا شطا في ثيابه مع من قتل ايضا من المسلمين و نزلوا المسلمون في خيامهم باقي نهارهم وباتوا ليلتهم فلما اصبح الصباح اقبل الها مرك الى خيمة يزيد بن عامر وقال يا صاحب رسول الله صلى الله عليه و سلم رايت البارحة ولدي في النوم وهو في القبة التي رآها و الحورية بين يديه فقلت ما فعل الله بك ياولدي قال قبلني احسن قبول و جاد علي بالبشرى و البتول وانزلني في جوار الرسول قال صاحب الحديث حدثني عمر بن الاصلع عن جده عامر بن خويلد قال قتل شطا ليلة النصف من شعبان فجعل الله تعالى تلك الليلة موسما فلم يبقى احد من المسلمين تلك الليلة الا وزار قبره قال واحضر هلال بن اوس ابا ثوب الى بين يديه واعرض عليه الاسلام فاسلم وكذلك الاسرى احضرهم جميعهم واعرض عليهم الاسلام فمن اسلم اكرمه وحياه ومن ابا الاسلام اقرهم على الجزية من عامهم القبل ثم دخلوا في المراكب الى تنيس واعاد واكنيستهم جامعا و بنوا فيها المساجد وكذلك فعلوا في جميع الجزاير واخرج ابو ثوب من ماله ومال قومه الخمس و بعثوا بذلك الى امير المسلمين عمرو بن العاص مع اموال من قتل على كفره قال ونزل هلال على التل الاحمر الذي كان ظاهر جزيرة تنيس بعد ما تفرغ من الجزاير واملها فلما نزل هلال بن اوس بعسكره على التل الاحمر قال الها مرك ايها الامير قد امنا من جميع الجهات وقد بقي علينا الخوف من موضع اخر فقال هلال بن اوس

ما اعرف بقي لكم عدوا تخافون جانبه قالوا بلى وهم اصحاب القلعة
المدينة قال صاحب الحديث وكان تقربهم على مجاز تنيس مما يلي
شرقيها حصن وكان الحاكم عليه الصامت بن مرة من آل مرداس فلما
سمع هلال بن اوس ذلك سار اليه بجميع من كان معه من العرب و
اهل تلك الارض وعول على حصار القلعة فاشرف عليهم الصامت بن مرة
فراهم وقد نزلوا على القلعة وقد عزموا على حصارها فاقبل على اصحابه
وامرهم ان يرموا على المسلمين سهامهم وكان في القلعة الف رام بالنبل
فرموا عن قوس واحد الف سهم فسمتها العرب الف رمي و قام عليها
عشرين يوما فلم يقدر عليها فبعث الى عمرو بن العاص واخبره بذلك
وطلب منه نجدة فبعث اليه المقداد بن الاسود الكندي في خمسماية
من العرب وثلثة الاف من القبط ممن اسلموا فلما اقبلت النجدة مع
المقداد ونزلوا على القلعة وقاموا لمحاصرتها وقتال من فيها ونظر
الصامت بن مرة الى من نزل عليه من الرجال واجتهادهم علم انه ما
بقي له ناصر ولا من ينجده فعند ذلك صالح المقداد على ان يحمل له
اربعة الاف دينار واربعماية زادة والف راس من الغنم وان يمهله
الى تمام السنة فان شاء رجع الى الاسلام والا ارتحل باهله وماله
ويسلم القلعة فاجابه المقداد الى ذلك وصالحه وقبض منه ما
صالحه عليه وبعث المقداد بالمال الى عمرو بن العاص وارتحل
المقداد وهلال بن اوس بالجيش ونزلوا على البقارة وكان عليها
رجل من العرب المتنصرة يقال له الباقرين فاسلم هو ومن كان
معه قال وارتحلوا الى القصر المشيد وفتحوه ايضا صلحا وارتحلوا

الى الزرادة و نزلوا عليه فصالحوا اهلها على ما اتفقوا عليه و سلموا
وساروا الى العربش ففتحوه ايضا صلحا قال الواقدي لما فتح الله تعالى
بلاد الشام على يد ابي عبيدة وخالد بن الوليد وساير الصحابة وفتح
الله تعالى ايضا بلاد مصر والاسكندرية ودمياط وبلادهما والجزاير
على يد عمرو بن العاص وخالد بن الوليد وعبد الله يوقنا وبني
عمه واصحابه وذلك في اواخر سنة ست عشرة من هجرة رسول الله
صلى الله عليه وسلم ولعمر بن الخطاب في الخلافة اربع سنين ونصف
قال وكتب عمرو بن العاص الى امير المومنين عمر بن الخطاب
كتابا بالبشارة يبشره بالفتح وبما وفى الله تعالى على المسلمين
من النصر والغنيمة والفتح ونفذ الكتاب فلما بلغ الكتاب الى
الخليفة عمر بن الخطاب وقراه حمد الله تعالى كثيرا وشكره على
نصر المسلمين ودمار المشركين ثم ان عمر بن الخطاب كتب الى
ابي عبيدة عامر بن الجراح يامره بتسيير الجيوش الى ارض ربيعة
الفرس وديار بكر فلما بلغ الكتاب الى ابي عبيدة فضه وقراه فلما
علم معناه امتثل امر امير المومنين عمر بن الخطاب وسير الجيوش
الى ارض ربيعة الفرس وديار بكر ❁ تمـــــــــــت

الحمد لله الذي وفقني على اتمام طبع هذا الكتاب والصلوة والسلام
على رسوله صاحب السيف واللواء والنشاب ❋



وقع الفراغ من طبع هذا الكتاب نهار عشر خلون من شهر رجب
المبارك سنة ١٢٧٧ من هجرة خير البشر عليه التحية والسلام ❋